لقيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية - الجيش العربي

مديرية الاعلام العسكري
مركز التوثيق العسكري

في الذكرى التاسعة بعد المائة للثورة العربية الكبرى

صفحات من سيرة الثورة العربية الكبرى

صفحات من سيرة الثورة العربية الكبرى

الباب الاول: المنشور الاول للثورة العربية الكبرى

الباب الثاني: ميثاق دمشق

الباب الثالث: المراسلات

الباب الرابع: العمليات العسكرية للثورة العربية الكبرى

الباب الخامس: الحسين بن علي

الباب السادس: حقيقة لورنس

الباب السابع: ثوابت الرؤية الهاشمية في خطاب الثورة والدولة منذ بدء النهضة

"كل واحد منا يعرف ويعتز بأن هذا الوطن نشأ وتأسس على رسالة الثورة العربية التي قادها الشريف الحسين بن علي لتحرير الأمة وتوحيدها، ولذلك سيظل الأردن بعون الله، الأردن العربي المسلم، المنتمي لأمته العربية والإسلامية، والحريص على النهوض بواجبه القومي والديني تجاه كل القضايا العربية والإسلامية ولن نقبل تحت أي ظرف من الظروف أن تكون علاقتنا بأي بلد أو جهة، على حساب علاقتنا بأمتنا العربية أو الإسلامية، وانتساب هذا الوطن إلى الثورة العربية، وانتساب قيادته إلى الدوحة النبوية الشريفة يفرض علينا أن نكون أول من يتصدى للدفاع عن الإسلام والعرب والمسلمين".

من خطاب جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين

بمناسبة عيد الاستقلال الستين ٢٥ ايار ٢٠٠٦.

اخواني ابناء الامة العربية :

ان الاحتفال بذكرى الثورة العربية الكبرى هو توكيد لمعنيين :

المعنى الاول وهو الايمان بأهداف هذه الثورة الشريفة التي قام بها أبناء العروبة في مطلع هذا القرن لكي يرسخوا قيم الحرية والكرامة والقومية والنهضة الاصيلة في وطنهم.

والمعنى الثاني هو التصميم على ربط التاريخ العربي بالمستقبل العربي ووصل المطامح العربية بالجذور العربية ،واعتبار الكفاح القومي ، الذي جسدته الثورة العربية الكبرى – منطلق كفاحنا في الحاضر والمستقبل من اجل حياة افضل ،ومن اجل بناء مجتمع جديد حر وعادل ومزدهر .

المغفور له جلالة الملك الحسين طيب الله ثراه

في ذكرى مرور نصف قرن على الثورة العربية الكبرى عام ١٩٦٦.

" إننا نحن آل البيت السبب الأول في رفعة العرب ، فمجدهم الأول أنبثق من بين يدي محمد صلى الله عليه وسلم ، ومجدهم الثاني انبثق من بين يدي باعث الثورة العربية الكبرى ، ونحن السبب في إيجاد من نسميهم اليوم بأصحاب الجلالة وأصحاب السمو وأصحاب الفخامة وغير ذلك " **الآثار الكاملة ص٢٧٠"**

الإهداء

بمناسبة أعياد الوطن الغالية ، تصدر مديرية الاعلام العسكري هذا الكتاب " صفحات من

سيرة الثورة العربية الكبرى" وتقدمه كسفر وطني ، نهديه الى القادة الأجلاء في زمن الثورة والنهضة ، وإلى من صاغوا استقلال المملكة الاردنية الهاشمية ، والى من كان الاستقلال من صنع حراب بنادقهم ، والى الشهداء الابرار الذين انارت دماؤهم الزكية درب الوطن نحو العلياء ، والى قائدنا المفدى جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين القائد الاعلى للقوات المسلحة الاردنية – الجيش العربي ، والى صاحب السمو الملكي الامير الحسين بن عبدالله ولي العهد .

في الذكرى التاسعة بعد المائة للثورة العربية الكبرى

الثورة برسالتها وأهدافها لا زالت هي الرافعة الحقيقية للدولة الاردنية ، تلتزم بأهدافها التي تستند الى الحق والعروبة الصحيحة .

والثورة هي رسالة الجيش العربي من نشأته وتأسيسه ، ويكفى أن النواة الاساسية لهذا الجيش العربي هي قوات الجيش الشرقي في الثورة العربية الكبرى .

ومديرية الاعلام العسكري ومن خلال مركز التوثيق العسكري الذي نشأ ليقدم الحقائق ويتناول التاريخ بمصداقية دون اجندات بل لمواجهة ما يمكن أن يكون تحريفا وباطلا لاهداف مشبوهة ،يقدم هذا الكتاب المبسط في تاريخ الثورة العربية الكبرى ليتناول المنشور الاول ومن ثم العمليات العسكرية وحقيقة لورنس الذي هو المصدر الاول للتشويش والتحريف لدور العرب ونقائهم وطهرهم ، ووقفة مع قائد الثورة العربية الكبرى الخليفة والملك والقائد والثائر.

وفقنا الله ، في ظل قائدنا سليل النبوة ، وحفيد قائد النهضة جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين

الباب الاول

الثورة العربية الكبرى :

قراءة في منشور الثورة العربية الكبرى.

ثورة العرب الكبرى هي ثورة فكر ومن أجل الارتقاء بالإنسان العربي وتأكيد دوره في المجتمع الدولي كشخصية مستقلة تنتمي إلى مجتمع يتميز بعراقة تاريخه وأمجاد النسب فيه والأصالة الضاربة في القدم إلى يومنا هذا .

والثورة الكبرى عندما انطلقت في مطلع هذا القرن إنما جاءت لتلبي حاجات العرب في الحرية والسيادة وتلتقي مع طموحاتهم بالاستقلال وممارسة دورهم الصحيح من هنا جاء فكر الثورة ترجمة لهذه المعاني لا حياد عنها . وشكلت ثوابت عمل تجلت في مراسلات الشريف الحسين مع السير مكماهون وفي رسائله إلى أمراء البلاد وقادة الجيوش ، وحمل المنشور الأول الذي أعلن فيه شريف مكة الحسين بن علي الاستقلال والانفصال عن الإدارة العثمانية معاني الاستقلال والرغبة في حكم العرب لأنفسهم وتأكيد ثوابت استندت إلى العروبة والإسلام والحق في العيش بحرية ضمن الحدود العربية .

ونتناول هنا هذا المنشور وهو الأول الذي أوضح فيه ثورة العرب الكبرى خلفية أحداث الثورة ولماذا كانت الحاجة للعمل العسكري وقد استهل المنشور أولا بالآية الكريمة (بسم الله الرحمن الرحيم ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) ومن كانت أولى الكلمات تقول :

(كل من له إلمام بالتاريخ يعلم أن أمراء مكة المكرمة أول من اعترف بالدولة العلية من حكام المسلمين)

وهنا يؤكد الشريف الهاشمي على ما يلي :-

إن العلاقة التي تربطنا بالعثمانيين هي علاقة مبنية على أسس دينية وإن حكم الدولة مستمد من القرآن الكريم وسنة نبيه عليه السلام.

إن أمراء مكة المكرمة يدركون مصلحة العرب والأمة الإسلامية فبادروا بالاعتراف رغبة منهم كما يوضح المنشور – في جمع كلمة المسلمين وتحكيما لعرى جامعتهم ولتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام.

ويذكر التاريخ هنا لأن فيه كل ما يفيد في توضيح العلاقة بين العرب والعثمانيين ومميزات هذه العلاقة ويستطيع القارئ له أن يستنتج الأحداث ويستخلصها من خلال تسلسلها بدءا بوصول العثمانيين إلى المنطقة في عام ١٥١٦ وحتى اعتلاء الاتحاديين السلطة في عام ١٩٠٨ .

ويستمر المنشور ليدخل في باب شرح الأوضاع السائدة باختصار ، ويضمن هذه الأوضاع

الأسباب التي تدعو كل عربي ومسلم أن يتحرك باتجاه تحقيق المطالب العربية بالحرية والوحدة والاستقلال ورفض الاستكانة والتفريط بتعاليم الدين أو كل ما يمس العروبة ، وقبل الدخول في الشرح أوضح المنشور كيف أن شريف هاشم كان يحافظ على هيبة الدولة العثمانية وكيف أنه في سنة ١٣٢٧ هـ تحرك لنجدة العثمانيين في حصاد (أبها) المعروف وقاتل العرب من أبناء جنسه انتصارا لهيبة الدولة ، وتستطيع أن تجعل الأسباب للثورة من خلال هذا المنشور كما يلي :-

من الناحية الدينية: فقد بدأت صحف العثمانيين بالدعوة لتغيير بعض القوانين المدنية المستمدة من القرآن الكريم من قوله تعالى (وللذكر مثل حظ الأنثيين) ودعوا إلى المساواة بين الذكر والأنثى في الميزان وكامل الحقوق . وإضافة إلى ذلك فقد طلبت القيادة العثمانية من الجنود في الحجاز بأن يفرطوا رمضان أسوة بالجنود الذين كانوا يقاتلون في البلقان ووسط أوروبا ،ومثل هذه أثارت حفيظة المسلمين وخشوا أن تتطاول الإدارة العثمانية وهم على يقين من خشيتهم بالاستمرار في التحريض وتغيير ما ورد في كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام .

من الناحية الاجتماعية والاقتصادية : فقد انشغلت الإدارة العثمانية في حروب البلقان والتصدي للثورات الداخلية والمناوشات على الجبهة الروسية وأهملت الإدارات في المنطقة العربية وهذا انعكس على شكل فساد إداري وتعطل حركة الإنتاج الزراعي وظهور الفقر المزمع وذكر المنشور ما نصه (ولجأ الأهالي إلى بيع أبواب دورهم ودواليبها وأخشاب سقفها بعد بيعهم لجميع ما يملكون وذلك للحصول على سد الرمق)

من الناحية السياسية: فقد وصل الاتحاديون إلى السلطة في عام ١٩٠٨ وبدؤوا بتنفيذ الفكر الطوراني والتتريك وأخذوا يعتبرون كل ما تملكه الإدارة العثمانية وهو عثماني ثقافة ولغة وإدارة وبدؤوا يسيرون باتجاه تكوين دولة تركيا العلمانية هذه الدولة التي نجحوا في الوصول إليها وهي التي لا زالت قائمة إلى اليوم .

وهنا نبه الشريف الحسين إلى خطورة ما يجري وإلى انعكاس هذه القيادة على البلاد العربية تلك التي بدأت ممارستها كما يلي :-

تعديل قانون الحاكم ورفض الاعتراف بأي شهادات ومواثيق بين المسلمين إلا تلك الشهادات التي تتم بين أيدي القاضي في المحكمة.

الاعتقال العشوائي لأي صوت عربي يدعو للحرية والاستقلال وإعدام العديد منهم فقد طال إعدام الأمير عمر الجزائري والأمير عارف الشهابي ، وشفيق بك وعبد الغني العريسي

وغيرهم .
ج- لم يتوقفوا عند حالة الإعدام بل تعدوا ذلك إلى مصادرة ممتلكات ذويهم وتشريد أهلهم وأقاربهم جميعهم .
من الناحية المعنوية: فقد استشاط المسلمون غيظا وهم يشاهدون المدافع التركية تقصف البيت العتيق وتشعل النار فيه فهبا المسلمون وأطفأوا النار واعتلوا جدران الكعبة المشرفة وساروا فوقها لمنع امتداد النيران وفوق ذلك قذفوا بقنابل سقطت فوق قبر سيد البشر عليه السلام ، وقد أوضح المنشور هذه الأحداث ويضيف المنشور ليقول (وما زالوا يقتلون الثلاثة والأربعة في نفس المسجد كل يوم حتى تعذر على العباد القرب من البيت وفي هذا الاستخفاف والازدراء للعالم الإسلامي)
هذا عرض مجمل لما تضمنه منشور شريف آل هاشم الحسين بن علي طيب الله ثراه والذي أكد فيه أيضا على ثوابت واضحة تجلت فيما يلي :-
التمسك بالدين والقومية حيث يقول الشريف الحسين (لكننا لا نترك كياننا الديني والقومي ألعوبة في أيدي الاتحاديين)
التمسك بالاستقلال والسيادة ٠٠ حيث يقول الحسين بن علي (فاستقلت وانفصلت انفصالا تاما عن البلاد التي لم تزل تئن تحت سلطة المتغلبين من الاتحاديين " الاستقلال الذي تشوبه شائبة مداخلة أجنبية ولا تحكم خارجي ")
الدعوة للنهضة الصحيحة وتعميم العلم بين الناس (باذلة كل ما في الجهد والطاقة لإعزاز العلم وتعميمه بين الناس على اختلاف الطبقات)
وأخيرا ٠٠٠ فقد كان هذا المنشور الأول بمثابة توضيح لأساسيات الثورة وإعطاء العرب جميعا ثوابت العمل ومنطلقاته ليتحركوا ناصبين أمام أعينهم الرغبة في الاستقلال والوحدة والحرية لتأكيد دورهم في هذا العالم خاصة وأنهم هم الأحق بالسيادة على أنفسهم وتوجيه ذاتهم إذا ما كان لهم الإلمام بالتاريخ الذي يشهد في كل ذلك ٠٠
فقد كان هذا المنشور الانطلاقة الأولى واستمرت وقائع ثورة العرب الكبرى لا تحيد عن الأهداف المرسومة ولا تتزعزع عن مطالب الأمة التي ضحى في سبيلها قائد العرب الحسين بن علي طيب الله ثراه .

" صورة وثيقة بيان الثورة العربية الكبرى الأول"

الباب الثاني

ميثاق دمشق آذار ١٩١٥

سؤال جدير بأن نتوقف عنده:

كيف كان التخطيط لقيام الثورة العربية الكبرى؟

وكيف كانت البدايات التي أدت إلى الوصول إلى مرحلة إعلان الثورة والتقدم من اجل تحرير الأرض والإنسان؟

وحين نبدأ بالإجابة والعرض فإننا نتوقف عند الكثير من الأحداث التي تقدم الثورة العربية الكبرى كمؤسسة تكاملت أركانها وتوافر لها كل العناصر المؤهلة للقيادة ،سواء من قيادة

الشرعية والتاريخ والمكانة إلى سلامة الأهداف العربية فإلى تكامل التخطيط الموضوعي السياسي والعسكري لها.

ومن ابرز مظاهر التخطيط في المراحل الأولى هو تصميم الأهداف ومعرفة ما يريده العرب من الثورة والعمل على تحقيق المطالب التي يعلنها العرب، فكان اجتماع الأحرار العرب في دمشق في شهر آذار من عام ١٩١٥م ، والاتفاق على تحديد الدولة العربية المستقلة، وتنظيم العلاقة مع بريطانيا في المستقبل بتوقيع معاهدة لضمان الحقوق العربية بعد أن يتحقق النصر في الحرب العالمية الأولى، كان الأمير فيصل بن الحسين من المشاركين في مؤتمر دمشق والذي وضع ميثاق دمشق، وقدم المشاركون هذا الميثاق إلى الشريف الحسين بن علي ليعتمده كأساس في مفاوضاته مع بريطانيا قبل توقيع أي شكل من أشكال التحالف معها،

كانت وثيقة ميثاق القوميين العرب هي أساس في التخطيط للثورة، وقد أورد الميثاق جورج انطونيوس في كتابه يقظة العرب الذي ترجمه ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، ولهذا الكتاب الفضل بنشر مراسلات الشريف الحسين بن علي مع السر آرثر مكماهون المعتمد البريطاني السامي في مصر حينها، ومجموعة المراسلات والقراءة فيها .كانت الرسالة الأولى في سلسلة المراسلات قد صدرت من الشريف الحسين بن علي في يوم ١٤ تموز من عام ١٩١٥م واستمر التراسل عبر عشر رسائل هي خمس رسائل في كل اتجاه وجميعها قد ناقشت القضية العربية والحقوق والاستقلال والحدود ومسائل التسليح والتموين والتمويل وغيرها. كانت المراسلات هي المرجعية الأساسية فيما بعد في كل المفاوضات مع بريطانيا لأنها في حكم المعاهدات الدولية، فقد كانت المراسلات من السر مكماهون تصدر باسمه كمعتمد بريطاني في القاهرة، وقد مثل الشريف الحسين العرب في عرض مطالبهم والتفاوض باسمهم.

ولكن نبدأ هنا بقراءة وثيقة ميثاق القوميين العرب كما صدرت في عام ١٩١٥م في شهر آذار أي قبل حوالي خمسة عشر شهرا من انطلاقة الرصاصة الأولى، وتاليا نص الميثاق:

ميثاق القوميين العرب في دمشق للمفاوضات مع بريطانيا آذار ١٩١٥

اعتراف بريطانيا العظمى باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود التالية :

شمالا: - خط مرسين إلى ما يوازي خط العرض ٣٧ شمالا , ثم على امتداد خط بيرجيك – اورفة – ماردين – مديات – جزيرة ابن عمرو – العمادية إلى حدود إيران .

شرقا:- على امتداد حدود إيران إلى الخليج العرب جنوبا .

جنوبا:- المحيط الهندي (باستثناء عدن التي يبقى وضعها الحالي كما هو).
غربا:- على امتداد البحر الأحمر ثم البحر الأبيض المتوسط إلى مرسين .
إلغاء جميع الامتيازات الاستثنائية التي منحت للأجانب بمقتضى الامتيازات الأجنبية
عقد معاهدة دفاعية بين بريطانيا العظمى وهذه الدولة العربية المستقلة .
تقديم بريطانيا العظمى وتفضيلها على غيرها من الدول في المشروعات الاقتصادية
ونلاحظ من قراءة ميثاق القومين العرب التركيز على مسألة الحدود العربية والتخطيط للمرحلة القادمة لبناء الدولة اقتصاديا وتنظيم عقد معاهدة بريطانية على قاعدة السيادة العربية.

وكان هذا الميثاق هو الأساس لسلسلة المراسلات التاريخية التي نعرفها باسم مراسلات الشريف الحسين مع السر مكماهون ،
وكانت تركز على عروبة فلسطين والقدس .
لم تكن العلاقة العربية البريطانية لتأتي مصادفة ، بل عن تخطيط ورغبة بريطانية . في ذلك حين برزت حاجة بريطانيا الإستراتيجية إلى ضرورة التحالف مع العرب أثناء الحرب الكونية (العالمية الأولى)، وضرورة استمالتهم والتعاون معهم لأنهم في منطقة إستراتيجية عسكرية إضافة للعامل الديني وكون الشرافة في مكة ، عدا عن وجود حشد عسكري تركي كبير، إضافة إلى ضرورة الحد من النفوذ الألماني في منطقة بلاد الشام والجزيرة والعراق.

وكانت بداية العلاقات العربية البريطانية هي من خلال الاتصال المباشر الذي خطط له خديوي مصر بلقاء الأمير عبدالله بن الحسين مع اللورد كتشنر في القاهرة ، وقد تحدث جلالة الملك المؤسس عبدالله الأول عن بداية هذه العلاقة في مذكراته التي جمعت في الأعمال الكاملة ، وقد وثّق سموه آنذاك قصة العلاقة كما وردت في الصفحات ١١١-١١٣، علما أن هناك مراسلات أخرى تمت كالتي اشرنا إليها مع اللورد كتشنر وقد تحدث عنها الأمير عبدالله في المذكرات في الصفحة ٨٩، وهناك مراسلات بين المستر ستورز والأمير عبدالله ، ونشير هنا إلى بداية المراسلات الرسمية وقد كانت يوم ١٤ تموز ١٩١٥م ، في ذات اليوم أرسل الأمير عبدالله بن الحسين رسالة إلى المستر ستورز يتحدث فيها عن المصالح المشتركة وعن الرغبة الأكيدة في التعاون وطلب ضرورة إرسال المؤن والذخائر بالسرعة الممكنة.

في هذه الوقائع ما يشير الى التخطيط في الثورة العربية الكبرى رغم مراحل حنث الوعود

من قبل بريطانيا الى تلت ذلك .

" خارطة الدولة العربية الكبرى وفق ميثاق دمشق "

الباب الثالث

المراسلات التاريخية المعتمدة بين الشريف الحسين والسر مكماهون المعتمد البريطاني في مصر لم تكن العلاقة العربية البريطانية لتأتي مصادفة ، بل عن تخطيط ورغبة بريطانية ذلك حين برزت حاجة بريطانيا الإستراتيجية إلى ضرورة التحالف مع العرب أثناء الحرب الكونية (العالمية الأولى)، وضرورة استمالتهم والتعاون معهم لأنهم في منطقة إستراتيجية عسكرية إضافة للعامل الديني وكون الشرافة في مكة ، عدا عن وجود حشد عسكري تركي كبير، إضافة إلى ضرورة الحد من النفوذ الألماني في منطقة بلاد الشام والجزيرة والعراق.

وكانت بداية العلاقات العربية البريطانية هي من خلال الاتصال المباشر الذي خطط له خديوي مصر بلقاء الأمير عبدالله بن الحسين مع اللورد كتشنر في القاهرة ، وقد تحدث جلالة الملك المؤسس عبدالله الأول عن بداية هذه العلاقة في مذكراته التي جمعت في الأعمال الكاملة ، وقد وثّق سموه آنذاك قصة العلاقة كما وردت في الصفحات ١١١-١١٣، علما أن هناك مراسلات أخرى تمت كالتي اشرنا إليها مع اللورد كتشنر وقد تحدث

وتاليا قراءة في هذه المراسلات الرسمية:

الرسالة الأولى : من الشريف الحسين بن علي إلى السير مكماهون

مكة - ٢ رمضان ١٣٣٣ هجرية ١٤ تموز ١٩١٥ ميلادية

تبدأ هذه الرسالة بقرار العرب أن يعيشوا وان يفوزوا بحريتهم المطلقة، وان يتسلموا مقاليد الحكم نظريا وعمليا بأيديهم . وبينت الأهداف التي يسعى إليها العرب من خلال التعاون مع بريطانيا (دون اعتبار أية معاهده أخرى من أي نوع كان لا علاقة لها بهذا الهدف) واستندت الرسالة الأولى التي تضمنت ٦ نقاط على بنود ميثاق دمشق الذي حدد الدولة العربية وأشار في مادتيه الثالثة والرابعة إلى العلاقات الاقتصادية وأشارت الرسالة أن مدة الاتفاق في هذا المجال هو ١٥ سنة.

عنها الأمير عبدالله في المذكرات في الصفحة ٨٩، وهناك مراسلات بين المستر ستورز والأمير عبدالله ، ونشير هنا إلى بداية المراسلات الرسمية وقد كانت يوم ١٤ تموز ١٩١٥م ، في ذات اليوم أرسل الأمير عبدالله بن الحسين رسالة إلى المستر ستورز يتحدث فيها عن المصالح المشتركة وعن الرغبة الأكيدة في التعاون وطلب ضرورة إرسال المؤن والذخائر بالسرعة الممكنة.

" صورة عن وثقية أصلية للمراسلات "

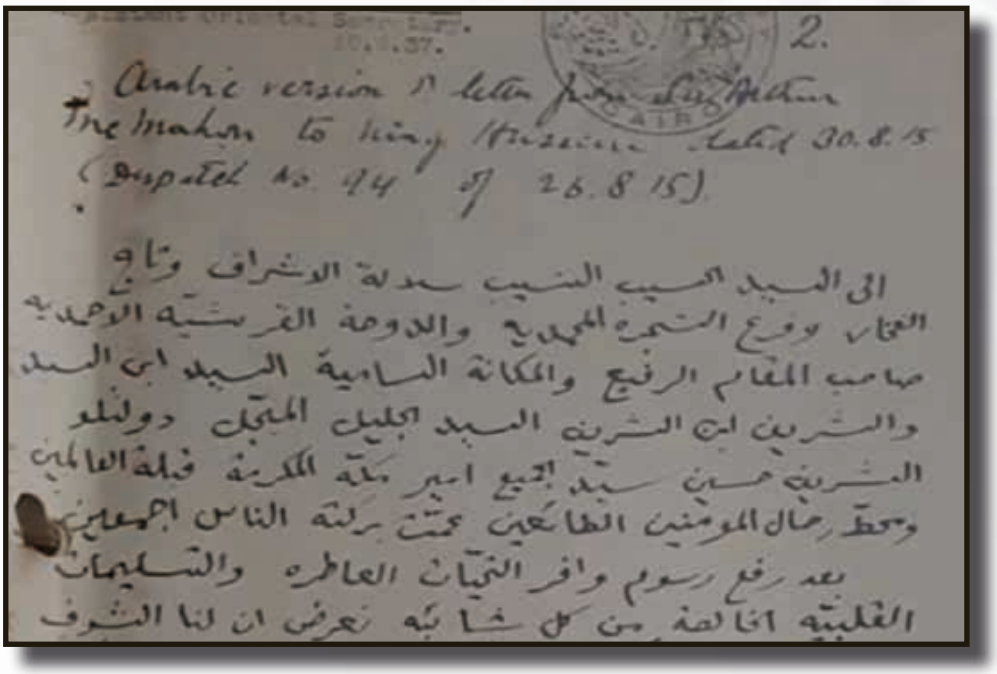

الرسالة الثانية :من السير مكماهون إلى الشريف الحسين بن علي القاهرة – ١٩ شوال ١٣٣٣ هجرية ٣٠ آب ١٩١٥ ميلادية

أكد السر مكماهون في رسالته هذه ، التي هي رد على رسالة الشريف الحسين السابقة على الاتصالات السابقة وما نقله اللورد كتشنر, وتأكيد بريطانيا على استقلال العرب وترحيب جلالة ملك بريطانيا باسترداد الخلافة العربية " على يد عربي صميم من فروع تلك الدولة النبوية المباركة" .

وهنا يشير مكماهون إلى مسألة الحدود للدولة العربية التي أكد عليها الشريف الحسين

ين علي في رسالته الأولى ، فيجيب مكماهون " إنها سابقة لأوانها " ، ومن باب وضع العراقيل ومعاتبة العرب فيشير مكماهون إلى أن بعض العرب بدل مساعدتنا فقد مد يده إلى الألمان – نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الألمان وذلك الظالم العسوف وهو الأتراك"

ويشير مكماهون إلى إرسال الحبوب والصدقات المقررة من البلاد العربية إلى الحجاز.

الرسالة الثالثة: من الشريف الحسين بن علي إلى السير مكماهون مكة ٢٩ شوال ١٣٣٣ هجرية ٩ أيلول ١٩١٥ ميلادية .

كان الشريف الحسين بن علي واضحا في رده حول مسألة الحدود متهما بريطانيا (بالفتور والتردد) وقال الشريف الحسين " إن تلك الحدود والتخوم المطلوبة ليست لشخص متعلق إرضاءه والبحث معه فيها عندما تضع الحرب أوزارها، بل أقوامنا رأوا إن تشكلاتهم الجديدة الضرورية والقائمين بأمرها مربوط على تلك الحدود والتخوم , وعقدوا الكلمة عليها" .

وأشار الشريف الحسين بذكاء إلى موضوع إرسال الحبوب والمساعدات وقال : إن هذه هي من الأوقاف الخاصة وليس لها علاقة بالسياسة ، وأشار الشريف الحسين بن علي إلى ما أورده مكماهون بأن بعض الأقوام العربية هي مع الألمان والأتراك وقال:

" أنزه شهامة أصالتكم عن أن نقول بأنها ليست من قوام حياتنا المادية والمعنوية ".

وأشار إلى مسألة هامه بقوله :

" كلهم ينتظرون نتيجة هذه المباحثات التي تتوقف فقط على رفضكم أو قبولكم بقضية الحدود وعلى تصريحكم بحماية ديانتكم أولا ثم بقية حقوقهم من أي أذى أو خطر".

الرسالة الرابعة : من السر مكماهون إلى الشريف الحسين بن علي

القاهرة – ١٥ ذي الحجة ١٣٣٣ هجرية

٢٤ تشرين الأول ١٩١٥ميلادية

هذه الرسالة هي رد على رسالة الشريف الحسين بن علي السابقة ، وبعد عبارات التبجيل ، يعرب مكماهون عن أسفه لما ورد بأنه قابل مسألة الحدود بالتردد والفتور، وقال انه شعر باهتمام الشريف الحسين في هذه المسألة ، ولذلك قام بالإسراع بإبلاغ حكومة بريطانيا العظمى بمضمون الكتاب، وانه قد حصل على إجابة من بريطانيا

أوردها في خمس نقاط ، حول تعديلات الحدود والأقاليم ، وقد أكدت النقطة الأولى على استعداد بريطانيا للاعتراف باستقلال العرب ضمن كل الحدود التي يطلبها (شريف مكة) مع صيانة الأماكن المقدسة من أي اعتداء خارجي مع استثناء ولايتي بغداد والبصرة بسبب مصالح بريطانيا فيهما،

وفي هذه الرسالة ما يشير إلى عقد تحالف عربي بريطاني هدفه طرد الأتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية.

الرسالة الخامسة : من الشريف الحسين بن علي إلى السر مكماهون

مكة – ٢٧ ذي الحجة ١٣٣٣هجرية

٥ تشرين الثاني ١٩١٥ ميلادية

لعل هذه أهم رسالة تظهر المطالب العربية ، ونحن حين ننظر إلى المراسلات فهي مساجلات ومناقشات تستهدف ترتيب العلاقات المستقبلية بين العرب والانجليز وبشرط الاعتراف بالاستقلال والحدود والسيادة العربية.

وفي هذه الرسالة الخامسة من الشريف الحسين ما يؤكد على وحدة الأرض العربية ، وعدم استثناء ولايتي حلب وبيروت ، ولا أي منطقة يعيش فيها المسيحيون، وانه لا موافقة على استثناء ولايتي بغداد والبصرة لمكانتهما التاريخية من عهد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

أما عن دعوة بريطانيا لعق التحالف العربي البريطاني وما ينجم عنه من الإسراع في حركة الثورة ، فقد كان تحذير الشريف الحسين بن علي من اعتبار العرب أنهم قد شقّوا عصا الطاعة ، ولكن السؤال كيف سيكون دور بريطانيا في حالة قيام العرب بثورتهم ضد الأتراك ؟ .

وتشرح بقية النقاط في هذه الرسالة الاحتمالات المترتبة على إعلان الثورة ومدى خدمة المصالح العربية، وهنا يقول الشريف الحسين مشيرا إلى استعداده لدخول الحرب بقوله: " نصيبنا من هذه الحروب إما سعادة تضمن للعرب الحياة التي تناسب تاريخهم ، أو الاضمحلال في سبيلها "

وطلب الشريف الحسين سرعة الجواب ، ويقول في خاتمة الرسالة " ولولا ما رأيتم ورأيت في عزمهم لاخترت العزلة في شواهق السراة ، ولكن ابّوا عليّ يا عزيزي أعزك

الباري بمرضاته إلا أن يقودوني إلى هذا الموقف" .

الرسالة السادسة : من السر هنري مكماهون إلى الشريف الحسين بن علي

القاهرة – ٨ صفر ١٣٣٤ هجرية

١٤ كانون الأول ١٩١٥ ميلادية

أشار مكماهون إلى مصالح فرنسا في ولايتي بيروت وحلب ، وانه سيعاود الحديث والنقاش حولهما، أما ولاية بغداد فان لبريطانيا مصالح فيهما ، ويشير مكماهون أن بريطانيا لن تدفع العرب إلى عمل سريع ، وتأكيد أن بريطانيا لن تبرم أي صلح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب الإسلامية وخلاصها من الأتراك.

الرسالة السابعة : من الشريف الحسين بن علي إلى السر مكماهون

مكة – ٢٥ صفر ١٣٣٤ هجرية

أول كانون الثاني ١٩١٦ ميلادية

أشار الشريف الحسين بن علي إلى مسألة التعويضات إذا كان قرار بريطانيا الاستمرار في مصالحها في العراق، وأشار إلى انه حين تضع الحرب أوزارها فان العرب سيطالبون بما غضّوا النظر عنه لصالح فرنسا ، وانه لا يمكن التنازل عن أي شبر من ارض العرب، وان أهل بيروت يرفضون أي انقسام أو تقسيم ، وهذه الرسالة وهي الرابعة من الشريف الحسين إلى مكماهون تتضمن أول طلب للحصول على الأسلحة والذخيرة من الجانب البريطاني كإشارة للتحضير والاستعداد للعمل العسكري.

الرسالة الثامنة : من السر مكماهون إلى الشريف الحسين بن علي

القاهرة – ١٥ ربيع الأول ١٣٣٤ هجرية

٣٠ كانون الثاني ١٩١٥ ميلادية

وعد مكماهون في رسالته هذه أن ينظر في أمر بغداد بعد هزيمة العدو، ووعد انه لن يتم المساس بأي شيء حتى نهاية الحرب ونيل النصر، وقال أن الدم الفرنسي والدم البريطاني سيكون أقوى بعد نيل النصر،

(هذا وان بلاد العرب مُشتركة في هذا الغرض النبيل الذي يتم في اتحاد قوانا واجتماع كلمتنا)

ونلاحظ من هذه الرسالة أنها مجاملة فقط ، ولا تتضمن أية وعود ولكن أشارت فقط إلى وضع احمد الشريف السنوسي في شمال أفريقيا .

الرسالة التاسعة : من الشريف الحسين بن علي إلى السر مكماهون

مكة – ١٤ ربيع الآخر ١٣٣٤ هجرية

١٨ شباط ١٩١٦ ميلادية

هذه آخر رسالة من الشريف الحسين إلى السر مكماهون ، وتتميز بأنها أطول رسالة ، وتتضمن الخطوات التي اتخذها الشريف الحسين بن علي في سبيل الثورة والنهضة والتخطيط لها، مثل إرسال نجله الأمير فيصل إلى الشام للتواصل مع الأحرار العرب ، وكخطوة تم إرسال نجله الأمير علي (نجلنا الأكبر) إلى المدينة المنورة ، ذلك ليكون جاهزا للتدخل في بلاد الشام، وتتضمن الرسالة تأكيد الطلب بإرسال المواد التموينية ومبلغ خمسين ألف ليرة ذهبية ، (المشاهرة) أي لدفع الرواتب الشهرية ، وإرسال الذخائر . وتبين الرسالة أيضا كيفية توصيل هذه الإمدادات وكيفية استلامها.

الرسالة العاشرة : من السر مكماهون إلى الشريف الحسين بن علي

القاهرة – ٦ جمادي الأولى ١٣٣٤ هجرية

١٠ آذار ١٩١٦ ميلادية

آخر رسالة من السر مكماهون إلى الشريف الحسين بن علي ، وفيها يعبر مكماهون عن سروره (لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تنوونها في الأحوال الحاضرة)

ويقول مكماهون إن حكومة بريطانيا صادقت على جميع مطالب الشريف الحسين بن علي .

وتشير هذه الرسالة إلى توضيح مجريات الحرب القادمة وضرورة أن تتجه نحو الساحل لاتخاذ التدابير الفعالة ضد بعض النقاط العسكرية التركية التي تعمل ضد المصالح البريطانية.

وتتضمن هذه الرسالة معلومات إستخباراتية مختلفة مثل زرع العديد من الألغام البحرية وان ابن الرشيد باع الأتراك عددا كبيرا من الجمال , وان تركيا تتلقى خسائر وهزائم مختلفة في الجبهة الوسطى.

إلى هنا تنتهي هذه الرسائل التاريخية , التي يلاحظ أنها تعتبر من المواثيق الدولية التي تمت بين أمير مكة ونائب جلالة ملك بريطانيا في مصر،وحملت أكثر من اعتراف ، أهما الاعتراف باستقلال العرب والاعتراف بالموافقة على كل طلبات الشريف الحسين ،ولكن هل كان الهدف من هذا الاعتراف هو الوصول إلى دفع العرب لإعلان الثورة ؟ ومن ثم يكون هناك منحنى أخر ؟ طبعا هذا ما حصل وأشار إليه لورنس العرب في أعمدة الحكمة السبعة وأشارت كل الدراسات أن هذه الثورة العظيمة قد تعرضت للخديعة البريطانية .وليس أدل من أن المراسلات قد انتهت في ٦ آذار ١٩١٦م وبعد شهرين في ١٦ أيار ١٩١٦ تم توقيع اتفاقية سايكس بيكو التي استهدفت تقسيم بلاد الشام والعراق، تبقى هذه المساجلات و المراسلات سجلا تاريخيا مشهودا به لدور الشريف الحسين بن علي ، ولمصداقية الثورة العربية الكبرى وللأهداف النبيلة التي قاتل العرب من اجلها وعلى رأسها السيادة التامة والاستقلال الكامل ضمن الحدود التي رسمتها المراسلات.

ومن الملاحظات الهامة على هذه المراسلات أنها قد فقدت كنسخ أصلية في معظمها ، ومعظم ما وصلنا هي الترجمة العربية عن الانجليزية لهذه المراسلات، علما أن النسخ الأصلية قد كانت باللغة العربية , وتم ترجمتها للانجليزية فيما بعد وهناك ما يشير إلى الاختلاف في الترجمة.

ولعل الفضل يعود في نشر هذه الوثائق إلى المؤرخ جورج انطونيوس الذي زار الشريف الحسين بن علي في منفاه في قبرص , وحصل على نسخ من المراسلات وقام بنشرها في كتاب يقظة العرب إضافة إلى مراسلات أخرى .

ونبقى في حاجة إلى الكشف عن المزيد من الوثائق لنقف عند إنصاف الثورة العربية الكبرى , وتقدير موقف الرجال وموقف قائدها الشريف الحسين بن علي .

ملاحظات :

١. هناك سرعة في رد الشريف الحسين بن علي على الرسائل، ومجموع أيام الفروق بين الاستلام والرد كانت : ٥٦ يوما فقط ، بينما السر مكماهون كان بطيئا بالرد ومجموع فارق الأيام بين الاستلام والرد: ١٧٨ يوم .

٢ . ومن الأسماء التي ورد ذكرها في هذه المراسلات كناقلين لها:

علي أفندي البزاز

الخواجه الياس أفندي

الشيخ محمد بن عارف عريفان

الباب الرابع

العمليات العسكرية للثورة العربية الكبرى

اطلاق رصاصة الثورة العربية الكبرى وبدء العمليات العسكرية في الحجاز

تشير الكثير من المراجع ان بدء العمليات العسكرية قد وقعت في الخامس من حزيران من عام ١٩١٦م ،اي قبل اطلاق الرصاصة الاولى بحوالي خمسة ايام ، وهذا صحيح ،لكن الاعلان الرسمي كان في يوم السبت العاشر من حزيران من عام ١٩١٦م(التاسع من شعبان ١٣٣٤هجرية)،اما عن قصة يوم ٥ حزيران فان هناك اتصالات كانت تجري بين القادة الانجليز والامير عبدالله والامير زيد بهدف تنسيق الدعم اللوجستي للثورة العربية ،وكانت اولى الاتصالات في ٢٣ ايار ١٩١٦م حين تلقى السر مكماهون برقية من بور سودان تقول ان الشريف عبدالله يطلب حضور ستورز بسرعة الى شاطئ الحجاز كي يجتمع به،وان الحركة ستبدأ قريبا ،هذا النص اورده سليمان موسى في كتابه الحركة العربية في الصفحات من ٢٧٠ -٢٧٣،وانقل عنه بتصرف اضافة لما ورد في مذكرات فايز الغصين ومحمد علي العجلوني وغيرهم :

" لم يأت مكماهون بل حضر كل من رونالد ستورز وهوجارت وكورنوالس واثناء سفرهم بالباخرة تلقوا برقية بموافقة وزارة الخارجية البريطانية على منح الشريف عبدالله مبلغ خمسة الاف جنيه وخمسين الف جنيه للشريف الحسين بن علي بشرط القيام بحركات ميدانية ضد الاتراك.وصل المنودبون الثلاثة الى شاطئ الحجاز قرب جدة يوم ٥ حزيران واجتمعوا مع الامير زيد بن الحسين الذي اخبرهم ان اخاه عبدالله يتأهب للزحف نحو الطائف وكان المرسول العربي (عريفان) قد نقل رسالة الى ستورز من الامير عبدالله تقول : ان طلبي الوحيد منكم ان تبدأوا العمليات العسكرية في سورية بأكبر قوة يمكنكم حشدها .

وبعد مداولات محددة قال الامير زيد يسعدني ان اقول لكم ان العمليات العسكرية قد بدأت فعلا ،من هنا تذكر المصادر الاجنبية خاصة ان الثورة قد بدأت يوم ٥ حزيران."

وللحقيقة ان الاعلان الرسمي هو في ١٠ حزيران ،ولكن لم يخل يوم ٥ حزيران من عمليات عسكرية ، وحتى ان التحركات العسكرية العربية قد بدأت قبل ذلك اليوم ، ففي

الرسالة الشفهية التي نقلها الامير زيد على لسان والده يوم ٥ حزيران للمندوبين الانجليز الثلاثة جاء فيها ان نجلي الشريف علي وفيصل وجدا من الضروري البدء بالحركات يوم ٥ حزيران واعلان الاستقلال باسمنا ،

كما ذكرنا كانت هناك اعمال عسكرية قبل هذا الوقت ايضا ،ففي الثاني من حزيران غادر الامير فيصل والامير علي على راس جيش من المتطوعين وعسكروا خارج المدينة المنورة وبدأ الرجال من القبائل الذين جرى التنسيق معهم سابقا بالتوافد على المعسكر،وواول الاجراءات هي توجيه رسالة الى فخري باشا والي المدينة المنورة تظهر الحزم في وقف التعامل معه هذا نصها " بناء على الاوامر الصادرة من ابي سيقف نقل المتطوعين الى فلسطين ،لهذا عقدت النية على العودة بالمجاهدين الى مكة بدلا من ضياع الوقت هنا ،واني اسف لاضطراري الى الرحيل بدون ان اودعك ،فالمرجو قبول عذري .

كانت بداية العمليات العسكرية فجر العاشر من حزيران من مكة المكرمة بعد ان اطلق الشريف الحسين بن علي رصاصة الثورة من شرفة قصره ،ولتبدأ العمليات في ذات اليوم في كل من الطائف وجدة ،

كان اعلان الثورة العربية الكبرى ضربة قاصمة بالنسبة لالمانيا وحلفائها ، خاصة ان الاتراك كانوا ينتظرون اعلان الجهاد المقدس في الاقطار الاسلامية ،فخسروا ذلك وخسروا مؤازرة قائد عربي له مكانته الشرعية والتاريخية والدينية في الامة الاسلامية.

" لوحة إعلان الثورة العربية الكبرى "

اعلان الدولة العربية ومبايعة الشريف الحسين بن علي ملكا :
اتخذ علماء الحجاز والسوريون الموجودون في الحجاز قرارا بمبايعة الشريف الحسين ملكا على البلاد العربية واعلان الدولة العربية ،وقام الامير عبدالله كوزير خارجية هذه الدولة بابلاغ ممثلي الدول الحليفة في جدة بهذا القرار ، وطلب الاعتراف من دولهم بهذه الدولة العربية ، ولكن بريطانيا وحلفاءها تحفظوا على هذا القرار.

يوم اطلاق الرصاصة الاولى

كان صباح يوم العاشر من حزيران من عام ١٩١٦ الموافق التاسع من شعبان ١٣٣٤هـ يوماً يشهد التاريخ له، وهو يمثل صورة التصميم العربي على تحقيق الأمل المنشود.
وورد في اوراق خير الدين الزركلي وصفا لذلك اليوم في الصفحات ١١٨-١١٩ هذا نصه:-

الرصاصة الاولى:

الساعة ٩ والدقيقة ١٢ عربية قبيل فجر السبت ٩ شعبان سنة ١٣٣٤هـ بينما الجيش التركي في مكة هادئ في ثكنة جرول والقلعة الحميدية، والناس نيام والحوادث يقظى!
وبينما قادة الجيش التركي يحلمون بايناس الشريف حسين لهم بعد صلاة الجمعة من يوم ليلتهم!
وبينما والي الحجاز غارق في نومه بعد ان تلقى خبر جواسيسه بأن الشريف سهر تلك الليلة على عادته في قصر الامارة، وسرى الى منزله الساعة الرابعة من الليل فلا جديد هناك.
سمع القريبون من القصر طلقة دوى صوتها في ذلك الليل الساجي، وتلاها دوي متتابع من بطن مكة، فنهضوا يكذبون السمع، وانطلقوا يستقصون الخبر.
خرجت الرصاصة الاولى من قصر الامارة من بندقية الشريف حسين، فلم يبلغ صداها مسامع جيشه الكامن حول حصون الترك وثكنها، حتى اندفع سيل النار من بندقياته، فانتبه الترك مذعورين، واسرع جندهم الى المدافع قبل ان تصل اليهم العرب، فاطلقوا القنابل على مصادر نيران البندقيات.
ولم ينشقَّ فجر ذلك اليوم الا وجنود الترك محصورون في حصونهم،وقلعة اجياد المشرفة

على احياء مكة ودورها، تواصل القاء القذائف على كل مكان يتخيل لها ان فيه قوة من العرب، واستمر بها الامر الى ان طاشت بها قذائفها فارسلتها على غير هدى في كل ناحية من نواحي البلد الامين، واختصت بالعناية دار الامارة فاتخذتها هدفا حتى كانت الساعة الثالثة من الصباح.

كل ذلك والشريف حسين جالس في القصر لا يبالي بما كان او ما سيكون. وقد امر بقطع جميع اسلاك البرق والتلفون الا سلكا بين القصر وثكنة جرول تاركاً للقوم سبيلا للتسليم والنجاة، واذا بالتلفون يضرب ورؤساء الجند يسألونه عن الباعث على ما يحدث فأجابهم منذرا بوجوب الاستسلام فلم يفعلوا، ودام تبادل النار بين الفريقين الى المساء واحصى ما اطلقوه من القنابل في هذا اليوم بمئتين وثلاثين قذيفة من عيار ٧،٥٠ اصابت بعض المنازل فاخترقت جدرانها ولم تهدم بيتا واحداً

ومن اغرب ما يذكر في هذا الباب، قذف النار استمر انصبابها من افواه المدافع والبنادق على القصر الهاشمي خمسة وعشرين يوما، والشريف مثابر على عادته في الجلوس به، لم يغير مجلسه، ولا اختار غير غرفته الخاصة ، المعروفة حتى الآن باسم (المخلوان) يمكث بها وفي ردهة القصر سحابة النهار والربع الاول من الليل، يتحدث مع من عنده، ويضع الخطط لاتمام العمل، حتى ان الناظر الى غرفة المخلوان اذا حقق النظر فيها لا يتمالك من الدهشة حين يرى ابواب نوافذها وسقفها ومنصتها وفي الجميع آثار الشظايا والعيارات النارية التي كانت تتساقط بغير نظام. ولقد دخلت احدى القنابل غرفته وهو جالس ، فمرت على قيد شبر من مجلسه فاخترقت اساس الغرق، وهو لا يعبأ بها واكد لي ان احد من حضروا تلك المواقف ان موسيقاه الخاصة لم تنقطع عن العزف في اوقاتها يوما واحداً، وان قنبلة سقطت عشية يوم بالقرب من العازفين، فانفرط عقدهم وجلين فأمر الشريف أن يرجعوا الى عملهم ولو ماتوا كلهم، فعادوا واتموا ما بدأوا به تحت خطر القنابل! الرواية للزركلي

وعلمت من ثقة من كان بين يديه يومئذ ان تساقط النيران لما اشتد على غرفته جعل يكرر هذه الكلمة (قر يابيت، انها مادي ما هي ميدك) ولهذه الكلمة حادثة معروفة اليوم عند قبائل العرب، اول من قالها رجل منهم احاط بهم جمع من اعدائهم وهو في خيمته لا يبالي ، ورأى اضطراب عمدان الخيمة من تساقط الرصاص فقالها فذهبت مثلا ومعناه اسكن ايها البيت فان ما ترمي له لم يكن الا انا واضطربُ وتضطربُ انت.

انتقال عمليات الثورة العربية الكبرى الى ارض الاردن

اول المسارات لدخول قوات الثورة العربية الكبرى الى ارض الاردن

باير اول الطلائع وصولا الى العقبة موئل النصر الاول

من نهاية ايار الى ٦ تموز ١٩١٧م

(باير – الجفر – غدير الحاج – ابو اللسن – راس النقب –

القويرة – خربة الخالدي – كثارة – العقبة)

" صورة باير "

١. العقبة الهدف الاستراتيجي رقم ١

٢. الوجه والعقبة

٣. بدء المسار الاول للقوات العربية

٤. باير

٥. الجفر

٦. غدير الحاج

٧. لم تكن معان ضمن معارك المسار الاول

٨. معركة ابو اللسن

٩. راس النقب – القويرة

١٠. كثارة

١١. حول العقبة

١٢. الدخول الى العقبة – نهاية المسار الاول وبدء مرحلة الاردن

١٣. الموقف البريطاني والفرنسي من احتلال العقبة

١. العقبة الهدف الاستراتيجي رقم١

تقرر في مؤتمر رابغ العسكري الذي عقد يوم ١٩١٦/١١/١٦م بحضور الاميرين علي والامير فيصل وعزيز المصري ونوري السعيد وممثلين عن الحكومتين البريطانية والفرنسية تقرر وضع خطة للدفاع عن رابغ لاهميتها باتجاه تحقيق هدف الوصول الى العقبة، فكانت رابغ هي البداية لانها تتميزها بما يلي:-

أ- انها تسيطر على الطريق الواصلة بين مكة المكرمة والساحل مباشرة

ب- من رابغ تستطيع القوات البحرية والبرية ان تنفذ اية عمليات باتجاه الشمال .

جـ- اعتبرت رابغ مركز قيادة اولي لعمليات الجيوش الثلاث (الشمالي، والشرقي، والجنوبي) .

د- تعتبر نقطة راس مثلث قاعدته هي المسافة بين المدينة المنورة شمالا ومكة المكرمة جنوبا والى الشمال شبكة اتصال مع الطريق البرية المؤدية الى العقبة كقاعدة متقدمة ورابغ هي القاعدة الخلفية التي نجح العرب باحتلالها وكان لها تأثير تمثل فيما يلي :

١- نجاح القوات العربية في احتلال مواقع عديدة قبل الوصول للوجه رفع من معنويات الاهلين وزاد هذا في عدد الذين انضموا لقوات الثورة العربية .

٢- نجح العرب في تحييد القوات التركية ودفعهم الى الداخل بعيدا عن الساحل مما اضطر الاتراك الى تغيير سياستهم وتقصير خطوطهم الدفاعية.

٣- كان لعمليات جيش الامير عبدالله بن الحسين وجيش الامير علي الدور الاكبر في تمهيد الطريق للجيش الشمالي للزحف نحو الشمال حيث حاصرت قوات الاميرين عبدالله وعلي حوالي ١٤ الف جندي تركي في مواقع المدينة وبئر درويش وبئر الماشي، وهذا مكن الامير فيصل بن الحسين من الزحف نحو املج واحتلالها يوم ١٩١٦/١/١٥م .

٤- توسيع نطاق عمليات الجيش الشمالي وانشاء قواعد مثل قاعدة (بئر جيدة) وهي تقع بين الوجه على البحر وسكة الحديد في الداخل بحيث استخدمت هذه القاعدة لمراقبة سكة الحديد وتمرير المعلومات وتدمير بعض المواقع عليها.

(خارطة مخطط احتلال العقبة بخط يد لورنس)

٢. الوجه والعقبة

تمكن فيصل من الاستيلاء على الوجه يوم ١٩١٧/١/٢٥م وبعد الاستيلاء تحركت مفرزة لاحتلال موقع المويلح واسرت ٤٠ تركيا، وانهزم البقية وقد التحق جعفر العسكري بقوات الثورة في تلك الفترة واعيد تنظيم قوات الثورة العربية النظامية لتصبح كما يلي :-

أ- سرية الهجانة بقيادة خالد سليمان

ب- سرية البغالة بقيادة مولود مخلص

جـ- سرية الرشاشات بقيادة عبدالله الدليمي

د- فوج المشاة

وشرق الاردن هو المنطقة الاولى والاهم للانطلاق نحو الشمال والزحف لتحقيق الطموح العربي بدخول دمشق ورفع راية الثورة فيها واعلان الدولة العربية المستقلة ، وكان التخطيط الاول لتنفيذ العمليات المقبلة، هو دعوة اهل الشام وعشائر البادية الاردنية ممثلة بقياداتها العشائرية للحضور الى الوجه والتي فيها بدأ التخطيط لتنفيذ عملية احتلال العقبة التي تميزت بعنصر المفاجأة فيها، بسبب ان الترك كانوا يتوقعون الاحتلال والهجوم من جهة البحر والساحل ولم يتوقعوا ان الهجوم سيأتي من جهة الشمال ومن وادي اليتم.

وانسحبت القوات التركية التي كانت متواجدة في الوجه الى منطقة محطة العلا وهذه تقع الى الجنوب من محطة مدائن صالح بحوالي خمسة وعشرين كيلومتراً وتبعد عن محطة دمشق، على اساس ان دمشق نقطة بدء قياس المسافة لخط السكة، بحوالي ٩٨٣ كلم وتبعد عن محطة المدينة المنورة بمسافة ٣٣٦،٥ كلم، وبعد تأمين المنطقة حضرت بعثة عسكرية انجليزية(اي بعد كانون الثاني ١٩١٧) وضمت هذه البعثة :

١. الكولونيل نيوكمب

٢. الميجر دافنبورت

٣. الميجر جويس

٤. الكابتن جارلند، وهو الذي درب لورنس على استخدام المتفجرات والقيام بعمليات التفجير وقد تم ذلك في الوجه

٥. الكابتن هورن

٦. الكابتن لورنس والذي التمس ورجا الامير فيصل ان يسمح له بمرافقة هذه البعثة

.

وقد اثر احتلال الوجه في تلك الفترة من حيث :

أ- ارتفاع معنويات العرب خاصة بعد فشل الترك في محاولات استعادة مكة

.

ب- حصر الترك في قواعدهم على طول سكة الحديد.

جـ- اضطرار الشريف علي حيدر الذي عينه الترك شريفا على الحجاز عام ١٩١٦م الى التخلي عن وظيفته ومغادرته المنطقة الى لبنان رغم انه حمل الاموال الوفيرة لاغراء العرب واهل الحجاز وغيرهم للانضمام اليه .

د- امتلاك العرب لزمام المباداة والهجوم واصبحوا في موقف مبادر باستمرار، وفي الوجه اصبح جيش فيصل يعرف بأسم الجيش الشمالي

بدء المسار الأول للقوات العربية :-

وضع الامير فيصل والشريف ناصر بن علي والشيخ عودة ابو تايه خطة احتلال العقبة والسيطرة عليها، وانطلقت الحملة بقيادة الشريف ناصر بن علي يوم ٩ ايار ١٩١٧م من الوجه مودعا فيصل على امل اللقاء في العقبة، ورافق الشريف ناصر وعودة ابو تايه في هذه الحملة التي يقدر عدد افرادها بـ ٤٥ رجلا كل من :-

أ. عودة بن مطلق ابو تايه

ب. زعل بن مطلق ابو تايه

جـ. عوده بن زعل ابو تايه

د. نسيب البكري ممثلا لفيصل للاتصال مع اهالي الدروز وسوريا

هـ. الرئيس زكي الدروبي

و. ناصر بن دغيثر وتحت قيادته ٣٥ رجلا

وقد انطلقت الحملة وكانها قوم رحل مرتحلون طلبا للرزق والعيش واتجهت من الوجه باتجاه الغرب والى الشمال قليلا لتقطع خط سكة الحديد ما بين تبوك شمالا ومدائن صالح جنوبا، وتنفذ اول عملياتها التدميرية بنزع قضبان سكة الحديد وتدمر بعض العبارات وقطع خطوط التلغراف. ولم تورد المصادر تحديدا لهذه الامكنة خاصة وان المسافة بين تبوك ومدائن صالح حوالي ٢٤٦كلم وبينها ١٢ محطة سكة حديد، لكن بعد التدقيق والرجوع الى كتاب المعارك الاولى لصبحي العمري ذكر ان التفجير تم في منطقة محطة ديسعد والتي تقع بين محطتي الخميس شمالا، ومحطة المعظم جنوبا، وعلى الكيلومتر(٨٠٥)

وتتجه الحملة شمالا لتصل الى سهل الحول، ومن ثم اجتياز وادي فجر، والمرور بمنطقة (عرفجة) في وادي السرحان والوصول الى سهل البسيطة، والانتقال الى منطقة العيساوية ووصلوها في ٢٧ ايار اي بعد ١٨ يوم مسير حيث حلوا في ضيافة الشيخ علي ابو فتنة وقد تم في العيساوية الاجراءات التالية:

أ- انطلق عودة ابو تايه الى منطقة الجوف للتنسيق مع الشيخ نوري بن شعلان بخصوص دعم الثورة .

ب- طلب عودة ابو تايه من جماعته من كافة الافخاذ الالتقاء في منطقة النبك .

جـ- تحرك الشريف ناصر بن علي، قائد الحملة، الى النبك حيث انفصل عن عودة ابو تايه في العيساوية، وبدأ ناصر بن علي بتنظيم القوات العسكرية .

اما ما تم في النبك :-

أ. عاد ابو تايه بعد اجتماعه مع نوري بن شعلان واسفر الاجتماع عن التحاق ٥٠٠ متطوع جديد مع قوات الثورة العربية .

ب. غادر نسيب البكري وزكي الدروبي النبك متوجهين شمالا للتنسيق والتمهيد لقوات العرب الزاحفة من الجنوب .

٤. بـايـر

باير منطقة في صحراء الاردن الشرقية الى الشمال من بلدة الجفر، وهي تحتوي على عدة ابار طبيعية تعتمد على الاستنزاف الداخلي للماء، وهذه الابار دائمة وتروي كل سكان المنطقة ولعل الاسم باير قد جاء من جمع بئر او "بير"، وتعتبر باير المدخل الشرقي الذي يفضي الى المنطقة المحيطة في معان وتوجد على طريق القوافل، وذات قيمة تاريخية، فلا زالت اثار القصر الاموي القديم شاهدةً على مكانتها، وان طاله جور بني الانسان حين استخدم حجارته في بناء مخفر البادية الكبير عام ١٩٣٣ تقريبا.

باير شهدت دخول القوات العربية الى الارض الاردنية/ ورغم اختلاف التاريخ الذي يحدد زمن الدخول الا ان تاريخ انطلاق القوات العربية منها قد كان في الاول من تموز من عام ١٩١٧وهذه الحملة قد مكثت فترة من الوقت في باير وهي ترمم الابار وتضع الخطط للتقدم نحو الجنوب باتجاه العقبة، ومن باير تحركت حملة باتجاه الشمال الى الزرقاء ووضعت متفجرات تحت خط سكة الحديد وهذا حسب روايات لورنس.

(باير)

٥. الجفــر

ارض صحراوية شاسعة/ غزيرة في مياهها الجوفية، وتنبت الاشجار الكثيفة فيها وتبدو كواحة خضراء في صحراء سوداء.

وقد وصلتها قوات الثورة العربية في الثاني من تموز عام ١٩١٧م وعادت تلك الحملة الصغيرة التي ذهبت الى الزرقاء بقيادة لورنس والتحقت من جديد بقوات الجفر وصل عدد القوات العربية الى ١١٠ رجال بقيادة زعل بن عودة ابو تايه، وتحركت القوات هذه نحو الجنوب الغربي ولم تكن بعيدة عن معان اكثر من ٦٠ كيلو متر .

٦. غديــر الحــاج

تقع هذه المنطقة على بعد ١٧ كلم الى الجنوب من معان، وهي منطقة منخفضة، فيها سيل مياه ونباتات قليلة الارتفاع، ويمر منها خط سكة الحديد، وكانت الدوريات العسكرية تصلها لتأمين الحراسة للخط،

شهدت غدير الحاج اول معركة فوق الارض الاردنية عام ١٩١٧م في الثامن من تموز، وقد تصادفت القوات العربية مع حامية صغيرة من القوات التركية في نفس الموقع، ونشبت معركة قصيرة فرت بعدها القوات التركية باتجاه الغرب نحو معان .

كان لمعركة غدير الحاج رغم صغرها تأثير على مسرح العمليات:-

ووضعت القيادة العربية خطة المرحلة المقبلة كما يلي :-

أ. تعزيز حامية ابو اللسن بطابور بقيادة نيازي بك

ب. تغيير الحملة لخط سيرها بالاتجاه نحو الغرب الى المرتفعات خلف المريغة ما بين البتراء وابو اللسن والالتقاء هناك مع الشيخ قاسم بن دميك شيخ الدمانية والتنسيق معه .

ج. تنفيذ الهجوم على الطابور التركي في ابو اللسن والذي سبقه الاستيلاء على مخفر الفويلي الذي يمسك المدخل الرئيسي لمنطقة ابو اللسن من جهة الجنوب.

د. استمرار الهجوم على القوات التركية في ابو اللسن وقطع خطوط الهاتف وتنفيذ الحصار خاصة وان المنطقة ذات طبيعة جبلية تحيط بمواقع الاتراك بشكل شبه دائري حيث يوجد منفذان تقريبا للمنطقة الاول من جهة الجنوب حيث يوجد مخفر (الفويلي)

والاخر من جهة الغرب حيث يصل الى الطريق التي تؤدي الى مناطق بسطة وايل.

لم تكن معان ضمن المسار الاول

لم نستطع ونحن نبحث في المراجع ودراسة سيرة المعارك ان نجد اسبابا مقنعة لتجاوز القوات العربية في حملتها الاولى فوق الارض الاردنية لمدينة معان لكن ما استطعنا جمعه واستنتاجه هو ما يلي:-

أ. ان معان في تلك الفترة كانت بعيدة عن الاهتمام وهي محطة عادية وتتواجد فيها قوات قليلة العدد وهذا دفع العرب الى تجاوزها وعدم الاهتمام بها وتأجيل الهجوم عليها الى ما بعد .

ب. اتجه العرب الى تحقيق الهدف الاساسي المخطط له، والمتفق عليه مع سمو الامير فيصل وهو الوصول الى العقبة، واحتلالها وهذا يتطلب توحيد الجهد وتوجيهه نحو الهدف فقط، وبالتالي التركيز ايضا على التعامل مع المراكز التركية الامامية التي ستجابههم وهم في طريقهم الى العقبة وهذه المراكز هي :-

١. مخفر الفويلي: ويقع بين ابو اللسن ورأس النقب على اليمين باتجاه رأس النقب ويبعد عن الشارع الرئيسي الحالي مسافة ٦٠٠ متر، وعلى مسافة ٢٥٠ متراً بنفس الاتجاه عن سكة الحديد الواصلة بين معان ورأس النقب .

٢. ابو اللسن: فيه نبع ماء ومراكز قيادة وحصن قديم .

٣. القويرة : منطقة سهلية وفيها قلعة تركية وبركة ماء .

٤.خربة الخالدي على مسافة ٣١ كلم الى الشمال من العقبة في طريق وادي اليتم الى جهة اليمين (للقادم من العقبة) من الطريق الرئيسي خلف مرتفع منعزل وبالقرب منها حصن نبطي وابار مياه نبطية.

٥. كثارة : القلعة القديمة والتي تظهر بقايا حجارتها

٦. ام نصيلة تقع على بعد ١٢ كلم عن ساحل العقبة باتجاه الشمال الشرقي خلف من منطقة اسكان الرابية .

٧. بئر الخضراء ويحمل تسمية الخضراء وهو في موقع اسكان العالمية حاليا .

٨. تل المقص في مدخل العقبة الشمالي من جهة وادي عربة .

ج. ان القوات العربية ستخسر وقتا كبيرا اذا ما تعاملت مع معان خاصة وان موقعها محصن وان كانت القوات المتواجدة فيه قليلة العدد لكن العربي في القوات غير النظامية (وكما ثبت من خلال سير المعارك) يتجنب التعامل مع المواقع المحصنة.

د.ان عملية الاستيلاء على معان غير مجدية في الوقت الحالي لعدم وجود اتصال مع القاعدة في الوجه خاصة بوجود عدة مراكز تركية تقطع هذا الاتصال، وقبل تحرك الحملة باتجاه اهدافها بل واثناء سيرها ايضا كان الشريف ناصر يرسل الرسل والرسائل الى العرب ومشايخهم في المنطقة يعلمهم باهداف هذه الحملة وكيفية المساعدة والعون لتحقيق الاهداف .

٨. معركة ابو اللسن

تستحق اسم المعركة، فقد استعد لها الترك بحشدهم طابور بقيادة نيازي بك واستعد العرب لها بخطتهم حيث قاموا بتأمين المنطقة الخلفية بالتفاهم مع الشيخ قاسم بن دميك شيخ الدمانية ومن ثم التقدم لاحتلال مخفر (الفويلي) وقد جعل العرب الهجوم من محورين او اتجاهين فقد كان اتجاه الهجوم للجسم الرئيسي من منطقة قرية المريغة سالكين المرتفع البسيط المحاذي لوادي ابو اللسن الذي يسير فيه خط سكة الحديد ومن ثم لتنقسم القوات العربية الى اتجاهين :

أ. من الشرق حيث المرتفعات اعلى من الغربية ووعرة المسالك قليلا، وقد اعطي هذا الاتجاه للفرسان وعددهم ٥٠ فارسا لتميز الخيل بخفة الحركة والسرعة في صعود المرتفعات او الانحدار منها .

ب. من الغرب حيث المنطقة السهلية نوعا ما وتطل على منطقة ابو اللسن وان منطقة المعسكر ليست واسعة كثيرا ويتوسطها بئر ماء ذو نبع طبيعي يروي المنطقة وكانت النتيجة حاسمة وسريعة، حيث اعتمد العرب على احداث الصدمة في صفوف الترك ومفاجأتهم باسلوب الهجوم المباشر والاقتحام مما اوقع في صفوفهم ٣٠٠ قتيل، واسر العرب ١٦٠ منهم وكانت الخسائر العربية شهيدان احدهم من الرولة والاخر شراري .

وقد اعقب الهجوم العربي هذا عملية المطاردة التي نفذها محمد بن دحيلان، ووصلت المطاردة حتى المريغة وهذا يؤكد اتجاه الهجوم العربي من الشرق والغرب. وتركوا خط الشمال مفتوحا باتجاه المريغة كخط وطريق انسحاب محتمل وهو الوحيد لانهم لن يستطيعوا الانسحاب جنوبا لوجود منطقة سحيقة وصعبة هي راس النقب وبهذا نجح

العرب في حركتهم النظامية الثانية بعد الاصطدام في غدير الحاج ... وقد تحركت قوات عربية لتأمين منطقة عين وهيدة وهي نبع مياه استخدمت كقيادة عسكرية للامير فيصل فيما بعد، وكذلك تأمين منطقة المريغة وبهذا يكون العرب قد امنوا خطا واقيا خلفيا يفصلهم عن القوات التركية في معان، بدءا من وهيدة الى المريغة ثم ابو اللسن وحتى راس النقب لقد اثبتت معركة ابي اللسن ان العرب يملكون القدرة على التخطيط العسكري، وتنفيذ عمليات متطورة فقد فاجأوا القوات التركية من الخلف من جهة مخفر الفويلي، وارغموا القوات التركية على الانسحاب والتراجع باتجاه الشمال الى مرتفعات المريغة ووادي موسى نفسها، ويبلغ طول هذا الخط الدفاعي حوالي ٢٥ كلم .

٩. رأس النقب – القويرة

بعد ابي اللسن تحركت الحملة الى منطقة رأس النقب وكان خالياً من القوات التركية التي كانت قد غادرت اصلاً الى ابي اللسن، وواصلت الحملة السير جنوباً سالكين طريق الحج الشامي القديم ووصلوا الى القويرة بتاريخ ٤ تموز ١٩١٧م، حيث استسلمت هذه الحامية وقواتها البالغة١٢٠ جنديا دون قتال، والقويرة بها مخفر تركي مساحته حوالي ٨٠٠ متر مربع يستند الى جبل صخري منفرد الى الشرق منه، وبجواره بركة ماء مساحتها تزيد عن الالف متر مربع لتجميع المياه والارواء منها، والتقى الشريف ناصر بن علي بشيخ عرب النجادات (حسن النجادات) وبعد اتمام المهمة، استمرت الحملة في سيرها لتمر من منطقة خربة الخالدي التي توجد خلف تل كبير وسط سهل منبسط، وهي الآن بقايا لمعسكر تركي وفيه حصن نبطي وخزان مياه نبطي كبير منحوت في الارض وقد وصلته القوات العربية خاليا، لأن من فيه قد انسحبوا الى منطقة خربة كثارة وخربة الخالدي. كثارة والخالدي لا تظهران على الخرائط الحديثة غير ان تحديد موقعهما قد تم من خلال خريطة انجليزية قديمة، وتقع هذه الخربة الى الشمال من كثارة بمسافة ١٧ كلم وبالقرب من غدير ماء ونبع ماء كان غزيراً في القديم، وهو الان ضحل تنبت حوله بضع شجيرات خضراء تعطي دلالة على وجود ماء ينساب بشكل قليل حيث تمر بقايا طريق العقبة القديمة بجانبها، والطريق الجديدة الى الغرب قليلا بمسافة ٦٠٠م تقريبا .

١٠. كثــارة

خربة رومانية قديمة تبعد عن العقبة شمالا بـ ١٥كلم والخربة مستطيلة الشكل (٤٣ متر ×٣٦متر) وفيها بقايا برج قديم ويرجع تاريخه الى الفترتين النبطية والرومانية، ويعتقد ان الموقع كان يستخدم كنقطة تجارة (جمارك) ونقطة حماية ايضا، وتخترق سكة

الحديد الحالية الموقع وحطمت ملامحه اضافة الى استخدام حجارته، في بناء الجسور والعبارات في المنطقة/ وتفيد تقارير دائرة الاثار ان هناك بقايا لمدماك او مدماكين من الحجر القديم تعطيان للموقع بعض الملامح لكن عند زيارته فاننا لم نجد اثرا للمدماكين حتى ان الموقع مهجور تماما وتوجد هناك مدرسة من غرفتين صفيتين مهجورتين ولا تزال مقاعد الدراسة الخشبية موجودة فيها، وعددها اكثر من عشرين مقعدا اما الابواب وشبابيك الحماية فقد انتزعت من مكانها (هذه المعلومات من زيارتين للموقع عام ١٩٩٢و٢٠٠١م).

وهذا الموقع كثارة والتي تذكر اسمه بعض المراجع والخرائط باسم القثرة ومنطقتها بأسم خشم القثرة كان فيه مخفرٌ تركيٌ قديمٌ وحامية تركية تحمي خط المواصلات عبر وادي اليتم. وقد تقدمت القوات العربية اليه ونفذت هجومها الثالث عليه بعد غدير الحاج وابو اللسن، وبعد معركة المطاردة تمكنت من اسر ٧٠ من المشاة وخمسين من الفرسان فيه، وخربة كثارة هذه تعد آخر موقع على حافة وادي اليتم من الجهة الجنوبية الغربية ويشرف على مياه خليج العقبة حيث يلي الموقع خربة ام نصيلة وخربة بئر الخضراء وهاذين الموقعين تحصن فيهما الترك استعدادا للدفاع عن شاطئ العقبة ولمنع الانجليز من النزول على الساحل، ولم يحسبوا ان الهجوم المفاجئ سيكون من جهة الشمال، ومن هنا فقد جاءت تحصينات الترك بمواجهة البحر جنوبا ومكشوفة من الشمال مما افاد في نجاح الهجوم العربي.

صورة خشم القثرة

١١. حـول العقبــة

مواقع ام نصيلة وبئر الخضراء وتل المقص تحيط بالعقبة شمالا وشرقا ولا توجد معلومات كافية حولها، ولكن موقعها في ابط الجبال المشرفة على العقبة، ووجود بعض التلال المنفردة والاشجار، جعلها ذات قيمة عسكرية لكونها تشرف مباشرة على ساحل العقبة هذا اذا علمنا ان العقبة ترتفع عن سطح البحر فقط ٢٥ مترا، واشهر هذه المواقع هو تل المقص الذي يقع حاليا الى الجنوب من المطار وبعد الخروج من العقبة مباشرة على طريق الغور واكتشف فيه ما يدل على وجود نشاط لصهر النحاس مما يدل على ان هذا التل هو مركز التصنيع، ويشير الى ان المدينة السكنية كانت تقوم على مرتفع حجيرات الغزلان الواقع شرقي تل المقص بـ ١،٥ كلم.

"ساحل العقبة قرب القلعة"

والملاحظ ان الخرائب وبقايا الاثار والعمران كانت مراكز للقوات العسكرية، وهكذا كانت الخطة التركية للدفاع عن الساحل، بالتمركز في هذه المواقع وتوضيع المدفعية الخاصة بهم، والسيطرة على الشواطئ، ومنع حدوث اي انزال بحري، وقد وصل العرب الى هذه المواقع بتاريخ ٥ تموز ١٩١٧ وحاصروها، ورفض الترك الاستسلام ولكنهم استسلموا في صباح ٦ تموز ١٩١٧م وكان عددهم ٣٠٠ جندي وضابط، وبينهم المان ونمساويين، وبالتالي انكشفت القوات التركية المتواجدة حول قلعة العقبة ....

الدخول الى العقبة / نهاية المسار الاول وبدء مرحلة الاردن

العقبة او هي ايلة القديمة/ يذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان ويقول عنها مدينة على ساحل القلزم (البحر الاحمر) وهي اخر الحجاز واول الشام، واشتقاقها يتجانس واشتقاق ايلياء ويقول عنها انها مدينة صغيرة عامرة، بها زرع يسير، وهي مدينة سكنها يهود التي حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فخالفوه فمُسخوا قردة وخنازير،

ويقول ابو المنذر، سميت ايلة نسبة الى ايلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام وقال ابو عبيدة، ايلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم تعد في بلاد الشام، وقدم يوحنه بن رؤبة على النبي صلى الله عليه وسلم من ايلة وهو في تبوك، فصالحه على الجزية وقررها على كل حالم بارضه في السنة دينارا فبلغ ثلاثمائة دينار، وتشتهر ايلة بعلمائها وجماعة الرواة منهم: يونس بن يزيد الايلي، صاحب الزهري توفي بصعيد مصر، و اسحق بن اسماعيل بن عبد الاعلى بن عبد الحميد بن يعقوب الايلي، وحسان بن اربان ابن عثمان ابو علي الايلي، ولي قضاء دمياط في مصر، وغيرهم وعرفت آيلة بأسماء قديمة اخرى فهي كانت تسمى بميناء سليمان، وعرفت باسم العقبة في زمان المماليك – واهمية العقبة ترجع :-

أ. الى كونها على رأس البحر الاحمر من جهة الشمال وآخر ميناء قبل الاتصال بالبر الشامي .

ب. أنها منطقة مفصل بين اقاليم صحراوية ثلاثة هي سيناء وبادية الشام ووادي عربة .

ج. ان القوافل تستطيع الحركة منها بيسر الى مصر غرباً والحجاز جنوباً و الى طبرية شمالاً وشرقا الى معان وتبوك .

د. أنها تسيطر على مداخل وادي عربة ووادي اليتم وهما منفذان لبلاد الشام.

ومن هذه الاسباب اتخذت اهميتها على مر التاريخ فكانت ميناء سيدنا سليمان، وكانت ميناء الانباط، فيه يتبادلون التجارة مع الهند، والعقبة كانت مقرا للفرقة الرومانية العاشرة وكانت في القرن الرابع الميلادي مقرا للابرشية وشهدت المنطقة كلها حضارات مختلفة، فمنطقة تل الخليفة الذي يقع على خط هدنة ٤٨ الى شمال العقبة شاهد على حضارة عصيون جابر القديمة ويرى العلماء ان مدينة البطالمة المعروفة باسم (بريتسكي) وتذكرها بعض المراجع باسم (برينكي) هي نفس موقع الرشراش (المرشرش) الى الشمال قليلا بالانحراف نحو الغرب من العقبة، زارها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده زراها عمر بن عبدالعزيز وبها بردة للرسول الكريم في تبوك، ويروي طلحة بن عبدالملك الايلي ان المدينة تعرضت لزلزال مدمر عام ٤٦٠هـ .

واهتم المماليك فانشأ السلطان قانصوه الغوري قلعة العقبة، وقبله صلاح الدين الايوبي اهتم بها وبنى قلعته الشهيرة في جزيرة فرعون داخل خليج العقبة.

العقبة مدينة شهيرة وبرزت اهميتها خلال احداث الثورة العربية الكبرى ولقد كان الدخول العربي اليها يوم ٦ تموز ١٩١٧م بمثابة الانعطاف التاريخي الهام الذي اعطى الثورة

العربية الكبرى بعدا جديدا. وبعد السيطرة على خط وهيدة – المريغة – ابو اللسن – رأس النقب شمالا قام الشريف ناصر بتأمين خط دفاعي جديد يتمثل بموقع ام نصيلة تل المقص– بئر الخضراء – كثاره خلف موقع العقبة بمسافة تراوحت بين ١٠-١٥كلم وبجبهة امتدادها من الشمال الى الجنوب تقريباً ١٥ كلم وهنا اورد نصاً ورد في كتاب التاريخ الرسمي للحرب (العمليات العسكرية في مصر وفلسطين ج١-ص.١٢٤ هذا النص ورد في وصف معركة تأمين خط الدفاع الاول الشمالي في موقعة ابو اللسن .

عند الغروب جمع عودة خمسين خيالا في جوف واد على بعد ٢٠٠ ياردة من الموقع التركي، وقام بهجوم مباغت فتضعضع الترك، وعندئذ انحدرت اليه بقية العرب على الجمال من اعلى التل فانتهت المعركة في خمس دقائق واحصى النقيب لورنس ٣٠٠ قتيل من الاتراك في الميدان، واستطاع بما بذله هو والشريف ناصر من جهود ان ينقذ من الموت ١٦٠ رجلا ويأخذهم اسرى، اما العرب فقد قتل منهم اثنان ووقع بعضهم جرحى وذلك هو كل ما خسروه)) انتهى النص الذي نورده مع التحفظ على رواية لورنس التي كانت مهمته هي جمع المعلومات ووضعها في قالب قصصي يرسلها الى قياداته الاعلى ناسبا الى نفسه هذه الانتصارات.

" قلعة العقبة صورة تاريخية "

١٣. الموقف البريطاني والفرنسي من احتلال العقبة

لا بد من التعرف على الوضع البريطاني خلال الحرب العالمية الاولى في فلسطين فالبريطانيون كانوا يهدفون من عملياتهم التقدم شمالا وشرقا لاحتلال منطقة بلاد الشام من اجل الضغط على جبهة تركيا الجنوبية لاضعافها واجبارها على الاستسلام، لكن الموقف البريطاني في فلسطين كان صعبا فقد تلقى القائد العام البريطاني الجنرال (موري) هزائم متكررة في فلسطين وغزة، وجرى تغيير في القيادة البريطانية فتولى اللنبي القيادة وزحفت اساطيل الحلفاء، وضربت مدينة العقبة، ويروي السيد مسلم العطار الذي كان قائمقام في العقبة في تلك الفترة، ان الاهلين تركوا العقبة وزحفوا نحو الجبال الى أم نصيلة خوفا من القصف وانه تلقى برقية من قائد الجيش الرابع جمال باشا يأمره فيها ببناء عقبة جديدة، قبل حلول فصل الشتاء وان لم يفعل فانه سيعزل، ويذكر السيد مسلم العطار انه حاول افهام الترك استحالة تنفيذ هذا المطلب، وهذه الرواية وردت في اكثر من مصدر فاوردها سليمان الموسى في كتابه تاريخ الاردن بين الماضي والحاضر ص ٤٠ . وتتناقض الروايات حول الموقف البريطاني من احتلال العقبة فتذكر بعض المصادر ان الجنرال اللنبي قد رحب بهذه الخطوة العربية، لكن الكثير من المصادر الاخرى كانت ترى غير ذلك خاصة وان احتلال العقبة قد جاء بعد حوالي السنة من توقيع اتفاقية سايكس بيكو وباشتراك روسيا القيصرية، وقبل اكتشاف امر هذه المعاهدة في شهر تشرين الاول ١٩١٧م (واحتلال العقبة ووصول القوات العربية اليها خارج الحسابات البريطانية والفرنسية) وهذا ادى الى اعادة النظر والدراسة في ضوء الاتفاقية الموقعة بين الطرفين ومن هنا فان البريطانيين كانوا يتوقعون ان يكون الدور العربي كما يلي:-

أ. اثارة الشغب والقلاقل وتوجيه الضربات غير الحاسمة ضد الترك في الجزيرة العربية لمنع انسحاب القوات التركية لدعم جبهات الشمال في الشام تلك التي تستعد القوات البريطانية للدخول اليها.

ب. ان تبقى حركة العرب داخل اطار الجزيرة العربية وعدم اعطائها اي بعد عربي او قومي لتناقض ذلك مع المخططات الموضوعة بين الدولتين .

ج. الحفاظ على المستوى الاقليمي العربي وحصر العمل العربي في الجزيرة العربية حتى لا يكون هناك ايقاظ للقومية العربية وتحريك الشعوب في بلاد الشام لان هذا سيدفع العرب بعد تخلصهم من الترك الى البحث في امر استقلالهم هم ايضا .

العقبة هي نهاية المسار الاول للثورة العربية الكبرى في الاردن وهو المسار الاهم لان

احتلال العقبة من قبل القوات العربية القليلة العدد والبسيطة التسليح جعل الحلفاء ينظرون بطريقة مختلفة للقوات العربية، ولكن الاهم ان احتلال العقبة قد اظهر القدرات العربية والتصميم العربي، ونقل العقلية العربية الى دائرة الجدّ والتعامل بمنطق وثقة وعدم التردد في اتخاذ القرار .

معسكر الاردن (القويرة)١٩١٧

كانت الحركة من العقبة، بعد وصول الامير فيصل من الوجه، في شهر ايلول ١٩١٧م ومعه مجموعة من القوات العسكرية، وانتقلت هذه القوات الى معسكر الاردن (القويرة)

" معسكر القويرة + معسكر القوات العربية + مراسم استقبال علم الثورة العربية الكبرى "

٣. القويرة (معسكر الاردن)

اسم القويرة هو من الشكل المقور او التقوير، ويوحي الاسم بشكل المنطقة، فهي وكأنها تجويف يقع بين سلاسل جبال من كل جانب الا بانفتاح نحو الجنوب الغربي الذي يوصل الى مقدمة وادي اليتم المؤدي الى العقبة ....

القويرة بها حصن تركي وبركة ماء كبيرة وهناك اقام جيش الثورة معسكره الاول وحمل المكان اسم معسكر الاردن ....

بعد ان تكاملت القوات العربية، قام الامير فيصل باستعراض هذه القوات ومن ثم تنظيم الجيش العربي ليصبح في انساق ثلاثة، والقويرة منطقة استراتيجية عسكرية للاسباب التالية:-

١. القويرة منطقة سهلية تسهل فيها عمليات المراقبة والكشف وهي واسعة والقويرة نفسها كأنها مركز دائرة يمر محيطها من جهته الجنوبية بأكتاف وادي اليتم قبل البدء بالانحدار فيه، ويمر محيطها الغربي بسلسلة جبال الشراه الشاهقة الصعبة المسالك، وهذه تؤمن حماية جيدة ويمر محيطها الشرقي بسلسلة رم المدببة وسط رمال كثيفة، اما محيطها الشمالي فهو يمر من سلسلة مرتفعات جبال النقب التي تلتقي مع الشراه غرباً حيث يبدأ الصعود من سهل القويره المنخفض لتلتقي في اكثر الاماكن ارتفاعا واشدها برودة، ونصف قطر هذه الدائرة التي تتوسط سهول حسمى المعروفة يبلغ عشرة كيلومترات وهذه المسافة وفقاً لنظام المعركة في مطلع القرن العشرين تعد طويلة وتؤمن حماية وتوفر الوقت للتخطيط والتنفيذ .

٢. يتوفر مصدر مياه من خلال وجود البركة التركية الكبيرة التي يبلغ طول ضلعها ٤٠

مترا، اضافة لوجود بئر ماء لجهة الشرق قليلا من هذه البركة بجانب صخرة القويرة المستطيلة والتي تتوسط سهل القويرة ويستند اليها حصن القويرة .

٣. وجود مقر قيادة جاهز هو نفسه الحصن التركي، وهو قلعة صغيرة مساحتها حوالي ٥٠٠ متر مربع تتألف من غرف ايواء ومكاتب وساحة داخلية .

٤. قرب المنطقة وسيطرتها على طرق التقرب نحو العقبة مصدر الامدادات والتعزيزات وسيطرتها على طرق التقرب نحو الاهداف شمالاً .

تعتبر القويرة مركزاً مهماً لسكان المنطقة حيث يضربون المنازل فيها وحولها لتوفر مصدر المياه وكذلك لوجود سلطة الدولة في تلك الفترة المتمثل بالحامية التركية .

اما الذي تم في القويرة فيما يختص في تنظيم الجيوش فهو كالاتي:-

٤. الخطة العسكرية

تم وضع الخطة العسكرية لتنفيذ العمليات العسكرية المقبلة في اوائل شهر كانون الثاني ١٩١٨ والتي على اساسها جرى تنظيم قوات المهمة كما يلي :

التسلسل الرتل القيادة الهدف ملاحظات

١.الرتل الاول

الشريف مستور

الطفيلة

يعاون الشريف مستور عرب الحويطات من الجازي بقيادة حمد بن جازي .

٢.الرتل الثاني

الشريف ناصر

محطة جرف الدراويش

يعاونه نوري السعيد رئيس اركان حرب القوات النظامية ومعه عرب بني صخر والتوايهة.

٣.الرتل الثالث

الشريف عبدالمعين

الشويك

الامير زيد

طريق ابو اللسن وادي موسى

مع هذا الرتل جعفر العسكري قائد القوات النظامية

والملاحظ على هذا التنظيم ما يلي :-

١. انه يغطي منطقة عمليات الجيش الشمالي في المنطقة غرب معان من الطفيلة الى جرف الدراويش ثم الشوبك والسيطرة عليها يؤمن الاتصال مع قوات الجيش البريطاني في فلسطين .

٢. تهدف العمليات من خلال هذا التنظيم الى عزل معان من جهة الغرب تماما بعد نجاح عزلها من جهة الجنوب باتجاه القويرة وادي اليتم والعقبة، في نفس الوقت الذي يجري عزلها من جهة الجنوب الشرقي حيث تدور العمليات العسكرية على محطات سكة الحديد باتجاه المدورة.

٣. الطفيلة هي واحدة من الاهداف التي يحرص الاتراك على الحفاظ عليها ويعتبرونها منطقة تقع ضمن الخط الاحمر بالنسبة لهم والاستيلاء على الطفيلة يعني احتلال موطئ قدم تمهيدا للاتصال مع القوات البريطانية في مأدبا ويعني تسهيل العمليات المقبلة لاحتلال الكرك، لذا تركز الهجوم على الطفيلة لاهميتها الاستراتيجية الكبيرة .

٤. في الوقت الذي عينت فيه الاهداف للارتال الثلاثة، تم تنظيم قوات اخرى على شكل قوة احتياطية، وهي في الاصل قيادة جوالة لتكون في الموقف الذي يستطيع تقديم الدعم والاسناد لاي رتل خلال تنفيذه لعملياته العسكرية وتألفت هذه القوة من مجموعة من الرشاشات وجنود المشاه بقيادة الامير زيد بن الحسين ومعه القائد العام جعفر العسكري .

٥. تحركت الارتال الثلاثة في منتصف شهر كانون الثاني ١٩١٨ في نفس الوقت بهدف تشتيت الجهد التركي وتحقيق مبدأ الاستنزاف واشغال الجبهة بكاملها .

٦. لا تتوفر المصادر لتعطي دلالة على حجم كل رتل، ونشير أن الامير زيد عندما حضر الى العقبة في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ كان على رأس ١٥٠٠ جندي ولا يعرف عدد الذين التحقوا في كل رتل من عرب الجازي والتوايهة وبني صخر والبدول وغيرهم، اضافة الى تضاعف عدد القوات العربية بعد كل عملية عسكرية.

وفي القويرة تم رسم خطة المرحلة القادمة والتي ظهرت على شكل توجيهات من الامير فيصل الى الامير زيد كالتالي :-

٥. (توجيهات الامير فيصل الى الامير زيد)

بعد اكتمال تنظيم الجيوش العربية (الارتال الثلاثة) وتنظيم قيادته الرئيسية ارسل الامير

فيصل توجيهات الى القائد الامير زيد بن الحسين تضمنت ما يلي

١. ان يكون هو على رأس القوات المتقدمة الى الشمال.

٢.ان يتمركز في الطفيلة بعد الاستيلاء عليها وان لا يتركها حتى يتوفر التمويل الكافي للمرحلة القادمة .

٣. الحفاظ على تماسك القوات والتماسك بين ابناء العشائر لادراكه لوجود بعض الخلافات العشائرية .

٤. ان يعهد الى الشريف عبدالله بن حمزة الفعر للقيام بما يلي:

أ. ان يدمر ويحتل ميناء غور المزرعة

ب. ان يتمركز في اريحا او في اي نقطة قريبة حولها

ج. ان يستمر في التنسيق معك(أي الامير زيد)

هذه التوجيهات تعطي الدلالة على التخطيط العسكري السليم وان العمليات العسكرية كانت تتم وفقا لمعايير صحيحة وبتنظيم ودقة فهي ليست عمليات عصابات او ما شابه ذلك، والتخطيط لها كان عربيا، وبعقلية وتنفيذ عربيين، وقد اورد الامير زيد بن الحسين في مذكراته ص٢٠ انه تلقى تعليمات اضافية بعدم الحاق الاذى بالاسرى، وان يدفع مبلغ عشرة ليرات انكليزية ذهبا لكل جندي عربي يقوم بتسليمه اسيرا تركيا كحافز مادي له، ولعل في مجمل التوجيهات ما يعطينا الدلالات التالية :

١. الحفاظ على القصد والعمل على تحقيق الهدف

٢. ان يبقى الامير زيد في القيادة العامة للارتال الثلاثة وان لا ينشغل برتل دون الاخر حتى يتمكن الاحاطة بمسرح العمليات ومراقبة الوضع وضبط تطورات الموقف.

٣. ان تكون للعمليات جانب التأثير الاداري الاستراتيجي وذلك بتدمير ميناء غور المزرعة التركي، الذي يستخدمه الاتراك لتلقي الامدادات التي تأتي من الشمال ثم عبر البحر الميت الى غور المزرعة وبعدها برا الى معان والطفيلة والكرك وغيرها

٤. الحفاظ على المعنويات وتماسك الجنود المقاتلين خدمة للهدف العام الذي من اجله تتحرك الجيوش .

٥. التأكيد على التمركز في الطفيلة بسبب اهمية هذه المنطقة والتي ستكون موطئ القدم للتقدم شمالا نحو الكرك، واقامة الاتصال غربا مع قوات اللنبي والتأثير على خطوط السكك الحديدية في الشوبك وجرف الدراويش .

٦.تاحة الفرصة للقوات المتقدمة للشوبك لتنفيذ عملياتها وهي محمية من جهة الشمال بعد

عزل الطفيلة .
٧. لم تخل هذه التوجيهات من الاخلاق الاسلامية والعربية الاصيلة وذلك بعدم الحاق الاذى بالاسرى وهذه الاخلاق والاعراف موجودة لدى العرب قبل توقيع وصدور معاهدات ومواثيق جنيف عام ١٩٤٩وغيرها.
٨. نصت التوجيهات على مبدأ توسيع ميدان المعركة وتأثير العمليات، فقد صدرت الاوامر الى قوات الشريف عبدالله بن حمزة للانطلاق شمالا بعد انجاز عملياته، لتأخذ موطئ قدم في منطقة اريحا من اجل تأسيس نقطة اتصال قريبة مع قوات الحلفاء .

معركة الطفيلة الكبرى في ٢٥ كانون الثاني ١٩١٨م

الدخول الى الطفيلة يوم ١٥ /١/ ١٩١٨

لقد اوردت المراجع واجمعت المصادر على ان العرب شرعوا في تنفيذ عملياتهم من معسكر القويرة بدءا من النصف الاول من شهر كانون الثاني ١٩١٨، وتمكنت القوات العربية بقيادة الشريف ناصر بن علي ١٢ كانون الثاني ١٩١٨ من احتلال جرف الدراويش ، وتقدمت القوات باتجاه الغرب نحو الطفيلة لتلتقي مع قوات الشريف مستور التي قدمت من الغرب عن طريق وادي عربه، وعندما علم الحاكم التركي زكي الحلبي بقدوم القوات العربية اتخذ قراره بالانضمام الى قوات الثورة العربية مما دفع بسمو الامير زيد ان يعينه حاكما على الطفيلة، وقد جاءت ظروف الاستلام او اتخاذ قرار الانضمام للاسباب التالية :-
١. عدد حامية الطفيلة نسبياً فهو لم يتجاوز المائتين والخمسين حسب معظم الروايات وهذا يجعلها ضعيفة امام هجمات عربية كثيفة ومن اتجاهين .
٢. تأثرت الحامية بانتصار العرب السريع في جرف الدراويش والتي وصلتهم انباؤه ومعرفتهم بزحف العرب يوم ١٩١٨/١/١٢ من الجفر باتجاه الغرب على الطفيلة.
٣. ان الوضع العام داخل الطفيلة يؤثر على سلوك الحامية وقرارات قائدها، فقد كان للاتصالات من قبل مشايخ الطفيلة اثرها في سرعة اتخاذ هذا القرار .
٤. تتواجد جالية ارمنية في داخل الطفيلة وهي التي هاجرت من وطنها بسبب البطش التركي، وقد احتموا في المنطقة واستجاروا بأهلها واصبحوا مواطنين فيها وقد ناصرهم العرب واستمروا في موقفهم في الطفيلة كذلك .

لقد كان من السهل على القوات العربية الدخول الى الطفيلة، فدخلتها ورفعت الرايات العربية فيها يوم ١٥ كانون الثاني ١٩١٨ وكان القائد حينها الشريف ناصر بن علي وبعد بضعة ايام – كما يروي سليمان الموسى في تاريخ الاردن بين الماضي والحاضر ص٤٨- دخلها الامير زيد ومعه ١٠٠ جندي نظامي ومدفعان جبليان، واسندت للامير زيد قيادة المواقع التي تشرف على البحر الميت وكان يرافقه راسم سردت وصبحي العمري وهذه المعلومات نقلا عن ما ذكره العجلوني في كتابه ص ٥٢ (مذكراتي، محمد علي العجلوني) .

والعجلوني يفند روايات لورنس حول دخول الطفيلة وحديثه عن بعض النزاعات العشائرية، والعجلوني نفسه كان مع الشريف مستور القادم من جهة الغرب ويذكر ان الحرب قد اخت بين العرب جميعا ولا ينكر وجود بعض الصراعات القبلية التي كانت تظهر بين فترة واخرى والتي كان الامير زيد يعالجها بحكمة ويقول العجلوني – ص٥٢ ان لورنس كان يسجل الظواهر الشاذة مهما كانت تافهة ويبني احكامه الخاصة بطريقته.

٤. الاجراءات بعد دخول الطفيلة :

اصبح ميدان العمليات واسعا، وامتد لمسافات جديدة بعد دخول الطفيلة واحتلال محطة جرف الدراويش، واحتلال الشوبك وهذا يتطلب اعادة النظر في اسلوب العمل لمواجهة الظروف الجديدة خاصة وان العرب يدركون ان الاتراك سيقومون بهجمات معاكسة بهدف استعادة المواقع التي فقدوها خاصة لأهمية هذه المواقع، ولمواجهة الظروف الجديدة فقد اتخذ الامير زيد الاجراءات التالية :

أ.تنظيم القادرين على حمل السلاح وتدريبهم وتسجيلهم كمتطوعين في قوات الثورة .

ب.ارسال قوات مراقبة امامية بقيادة الشريف مستور الى منطقة سيل الحسا لمراقبة الوضع ورصد تحركات القوات التركية وتألفت هذه القوة من عدد من الخيالة.

ج.ارسال عدة رسائل الى شيوخ الترك والعشائر يخبرهم فيها بالوضع العام والاجراءات القادمة داعيا اياهم لدعم قوات الثورة في عملياتها .

د. توزيع المكافآت المالية على العشائر وشيوخ وزعماء النواحي

ه. اعادة نوري السعيد الى العقبة ليبدأ بتأليف وتنظيم فرقة مشاه نظامية خاصة بعد ملاحظة قدرة الجنود النظاميين على التعامل مع التحصينات التركية بطريقة افضل من المتطوعين وغير المتطوعين .

و.تنظيم الارمن لمن يرغب منهم في التطوع والعمل مع القوات العربية وقد جرى تدريب شبابهم على السلاح وتم تنظيم مجموعة منهم على شكل فريق عمليات خاصة قامت بعمليات ناجحة ضد الاتراك .

" قلعة الطفيلة "

مسار النصر الكبير

من اهم مسارات الجيش العربي التي سلكها وهو يخوض معركة حاسمة وكبيرة ضد القوات التي زحفت في محاولة لاستعادة الطفيلة بعد ان احتلها العرب في ١٥ كانون الثاني ١٩١٨، وكان هدف القوات التركية استعادة هيبة الباب العالي واعادة الثقة للجنود في الجبهة بعد عدة هزائم تلقتها القوات العثمانية في جبهات مختلفة .

كان ميدان المعركة متداخل ويشمل مساحة واسعة تمتد من منطقة العيص المرتفعة والتي عندها يبدأ الانحدار نحو مدينة الطفيلة غرباً والى منطقة مجادل وخربة كركا وخربة نوخة وهذه معالم توجد في سهل حد الدقيق المنبسط، الممتد ما بين العيص جنوباً وحتى سيل الحسا شمالاً وهو فوق هضبة مرتفعة تنحدر بشكل ساحق نحو الغرب باتجاه بلدة عيمة ...

ونقرأ هنا في سيرة هذه المعركة الحاسمة يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩١٨م:

١. تقدير القوات التركية

تختلف المراجع في تقدير قوة الهجوم التركية والاختلاف يرجع الى ان الباحثين في هذا

الموضوع هم اما مشاركين في المعركة وهؤلاء الاقرب للدقة، او باحثين اعتمدوا على روايات مختلفة ومتباينة ومتعددة فاخضعها هؤلاء لتحليلهم واستنتاجهم فجاءت النتائج متباينة .

وتالياً تقديرات بعض النتائج :-

أ. تقديرات امين سعيد في كتابه الثورة العربية الكبرى ص ٢٥٠/ج١

ويقدر عدد هذه القوة كما يلي :

- ٢٠٠٠ جندي مشاة - ٤٠ رشاش

خيالة عدد قليل - ٠٦ مدفع

محمد العجلوني في ذكرياته عن الثورة العربية الكبرى ص ٥٣/٥٢ ب.

يذكر هنا ان حامد فخري قائد تركي من اصل شركسي ويحمل وساما المانيا رفيعا، وكان معه في المانيا ورومانيا قوة منتخبة من الجنود المدربين والضباط الاكفاء باسلحة حديثة سريعة ويطلق على هذه المجموعة اسم (مرتب فرقة) اي فرقة منتخبة ويقول عن عددهم كما يلي :

١٠٠٠ جندي مشاة

؟ مدفعية

؟ كوكبة فرسان

قوات الجاندرمة في الكرك بقيادة محمد الحموي .

جماعة من المتطوعين بقيادة مشافق المجالي .

ج. قدري قلعجي في جيل الفداء ص ٢٤٧

يذكر ان الاتراك ارسلوا من الكرك اربع كتائب وسرية بغالة، وهنا يذكر ما ورد نصا "وبينما كانت سائرة في وادي موسى بلغ العرب خبرها .... وهذه مغالطة تاريخية وجغرافية فلم تصل القوات الى وادي موسى في حينها وانما المقصود هنا وادي الحسا وقد يكون الأمر خطأ مطبعيا او غير ذلك ولكن يتكرر هذه الخطأ عند قدري قلعجي .

د. مصطفى طلاس في كتابه الثورة العربية الكبرى ص٢٣٩

نقلا عن مذكرات الامير زيد بن الحسين ص ٦٣/٦٢ يقول ان تقدير القوة كما يلي :

- لواء يتألف من ٣ كتائب من الفرقة ٤٨

(لاحظ هنا ان كل الروايات تقول الفرقة ٤٧)

- ٢٧ مدفع رشاش

- مدفعان جبليان نمساويان
- مدفعا ميدان (لم يجر استعمالها بسبب وعورة الطريق ويطلق الاتراك على هذا النوع من المدفع اسم القدرتلي)
- سرية خيالة

هـ. سيد علي العدروس في الجيش العربـي الهاشـمي
ص٨٠/٨١
يذكر ان قوة الترك كما يلي:
٦٠٠ جندي من الفرقة ٤٨
١٠٠ خيال
مدفعا هاون

و. منيب الماضي وسليمان الموسى في تاريخ الاردن بين الماضي والحاضر ص ٤٩/٥٠
يذكر ان الفرقة ٤٨ بقيادة الامير الالاي حامد فخري زحفت الى الطفيلة وتألفت قواته من :-
٣ طوابير قوامها ٩٠٠ جندي مشاة
١٠٠ خيالة
مدفعي هاوتزر جبليين
٢٧ مدفع رشاش
جماعة من المتطوعين

وسليمان الموسى يذكر في كتابه الحركة العربية ص ٣١٠ ان عدد الحملة يزيد عن الف جندي ومعها مدفعان ضخمان ورشاشات .

ز. ويروي صبحي العمري في كتابه المعارك الاولى ص ١٧٦ على لسان الزعيم جميل البرهاني ان فرقة حامد فخري– الفرقة ٤٨– كانت تتألف من الالوية التالية :-
- اللواء ١٥٠ بقيادة فائق بك
- اللواء ١٥١ بقيادة كنعان بك
- اللواء ١٥٢ بقيادة توفيق برتو بك

لم تشترك هذه الفرقة باكملها في المعركة بل ترك قسما منها في مناطق المسؤولية لحماية الخط الحديدي من عمان وحتى الفريفرة، ويقدر عدد المشتركين في المعركة بـ:
- ١٥٠٠ من قطاعات المشاة

- سرية خيالة
- سرية النقلية (النقليات).
- المخابرة
- فصيل الخبازين
- سرية المقر (سرية القيادة)
- مرتبات من درك الكرك بقيادة الملازم محمد الحموي
- متطوعين من العشائر بقيادة مشافق المجالي ويكون المجموع العام ما لايقل عن ٢٠٠٠ جندي

الخسائر :-

ولنكمل دائرة البحث حول عدد القوات المشاركة نذكر الخسائر التي لحقت في القوات التركية لتعطي دلالة على حجم التشكيل وتكون قريبة تفيدنا في موضوع الاستنتاج .....

أ. فالخسائر لدى محمد علي العجلوني وهو مشارك في المعركة يقول في ذكرياته ص ٥٣ ان الفرقة ابيدت بكاملها ولم يبق منها الا تسعة وعشرون ضابطا وما يقرب المائتي جندي وقعوا في الاسر .

ب. لم يذكر امين سعيد شيء عن حجم الخسائر

جـ. يذكر قدري قلعجي ص ٢٤٨ في جيل الفداء ان القتلى كثر، واستسلم ٦٠٠ جندي وغنم العرب ٤ مدافع سريعة الطلقات .

د. مصطفى طلاس في كتابه الثورة العربية الكبرى ص ٢٤١ يذكر الخسائر التالية :

٤٠٠ قتيل من بينهم القائد حامد فخري (القائد العام لقوات الهجوم التركية)

٣٢٠ اسيرا منهم ١٧ ضابطا

٢٠٠ من الخيل والبغال

٢٢ رشاشا

٢ مدفع نمساوي

نجا عدد قليل من الاتراك هربوا باتجاه الخط الحديدي .

هـ. سيد علي العدروس يذكر في (الجيش العربي الهاشمي) ص ٨٢ ان الخسائر كانت .

٤٠٠ قتيل

٢١٨ اسير

مدفعين

٣٥٠ حصان وبغل

ويورد العدروس تقريرا من الجانب التركي ورد على لسان حسين حسني الضابط العربي في هيئة الاركان حينها يقول فيه انه عاد الى الكرك ٢١ ضابط و٤٢١ فردا من اصل الحملة التي قوامها ٦٠٠ جندي وضابط .

ويورد تقريرا اخر على لسان الكابتن الالماني ستوبر (شتاير) يورد فيه ان الخسائر التركية لم تزد عن ١٥٩.

و. سليمان الموسى ومنيب الماضي في تاريخ الاردن بين الماضي والحاضر ص ٥١ يذكران الخسائر كانت.

- ٧٠٠ قتيل على الاقل
- ٢٥٠ اسير بين ضابط وجندي
- ٢٧ مدفع رشاش
- ٢٠٠ حصان وبغل
- مدفعين جبلين من طراز سكودا
- لم ينج من الاتراك اكثر من خمسين رجلا

ز. مذكرات الامير زيد بن الحسين ص ٧٧ ورد نص الرسالة التي بعث بها الامير زيد قائد المعركة الى الشريف الحسين بن علي بعد المعركة بيوم واحد اي في ٢٦ كانون الثاني ١٩١٨ وفصلت هذه الرسالة الخسائر التركية كما يلي :

- ٣٠٠ قتيل على الاقل
- ٩ ضباط اسرى
- ١٥٠جندي اسرى
- ١٧ رشاش
- مدفعان من نوع قدرتلي ومجموع من البغال والخيال لم يحصوها وافادت الرسالة ان عدد الناجين لا يتجاوز المائة وعشرة، ونستنتج ان مجموع القوة التركية في حدود ٥٧٠ جندي وضابط، وفي رسالة اخرى في ١٩١٨/١/٢٧ من الامير زيد الى الامير فيصل حول المعركة ونتائجها اكد على الغنائم الواردة في الرسالة الاولى ويضيف عليها ٢٠٠ من البغال تم الاستيلاء عليها اثناء تقهقر الجيش التركي.

ولدى قراءة للخارطة في كتاب علي العدروس وهي الخارطة رقم ٨ التي توضح مسرح العمليات

يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩١٨ نقرأ عليها المعلومات التالية عن حجم القوات التركية والعربية :

القوات العربية	القوات التركية
القائد الامير زيد بن الحسين	القائد حامد فخري بك
١٠٠٠جندي (قوات نظامية) بقيادة عبدالله الدليمي وراسم سردست .	الكتيبة ٣٠٠٣/١٥١
٥٠(متطوعا) بقيادة النقيب اسماعيل نامق	الكتيبة ٣/١٥١ ٣٠٠ جندي
٢٠٠ (حجازي) غير نظاميين	سرية فرسان ١٠٠ خيال
مدفعان جبليان	مدفعان جبليان (استراليوت)
اربع رشاشات بقيادة صبحي العمري	٣٣ رشاش
قوات متطوعة غير نظامية من اهالي قرية عيمة .	
قوات متطوعة غير نظامية من اهالي قرية صنفحة .	

لكن في نفس مذكرات الامير زيد وكما يروي سليمان الموسى ص ٤٣ يذكر ان الامير فيصل كتب لابيه رسالة في (٦ شباط) وصف فيها مراحل القتال وقال ان الامير زيد هو الذي ادار المعركة واشاد بشجاعة الضابطين راسم سردست وعبدالله الدليمي ، ويذكر الامير فيصل ان خسائر العدو كانت

٤٠٠ قتيل منهم القائد حامد فخري	مدفعان جبليان
٣٢٠ اسيرا منهم ١٧ ضابطا بينهم قادة الكتائب	٢٢ رشاش
٢٠٠ دابة (خيل وبغال) خيام ومعدات اخرى والات وهاتف	

ونلاحظ ان مجموع القتلى والاسرى هو "٧٢٠" علما ان حجم قوات العدو هو ٦٠٠ جندي و ١٠٠ خيال وفقا لمصادر مصطفى طلاس وعلي العدروس وهو ايضا يصل الى ٢٠٠ جندي وفقا لمصادر صبحي العمري- الذي شارك في المعركة – وتقديرات امين سعيد، ونعود هنا للقول ان الاختلاف في التوثيق هو ان القادة لم يستخدموا مفكرات حرب لتوثيق ورصد الاحداث حتى ان الذين شاركوا في العمليات فأنهم لم يبدأوا بتدوين مذكراتهم الا بعد فترة طويلة فالعجلوني بدأ بكتابة مذكراته في١٩٥٦ وصبحي العمري صدرت مذكراته في كانون الاول ١٩١٩ لاول مرة .... والقضية في الحفاظ على الجوهر الاساسي لمفهوم عمليات كل عملية عسكرية، ورصد الاجراءات العسكرية والوصول الى النتائج

التي تجمع عليها معظم المراجع والدراسات وتبقى قضية الاعداد وتقدير حجم القوات المشاركة ليست ذات اهمية يحتمل تأثيرها على القضايا الاساسية بقدر ما تكون مهمة لتعميق الدراسة والبحث في الاحداث للوقوف على الحقائق والوصول الى الاستنتاجات المنطقية البعيدة عن العاطفة والتهويل والتي تخدم المعرفة الصحيحة وتتفق مع التاريخ السليم للاحداث حفظا للحق والحقيقة، وصيانته على مدى الاجيال القادمة .

"مدفع تركي في مسرح عمليات معان"

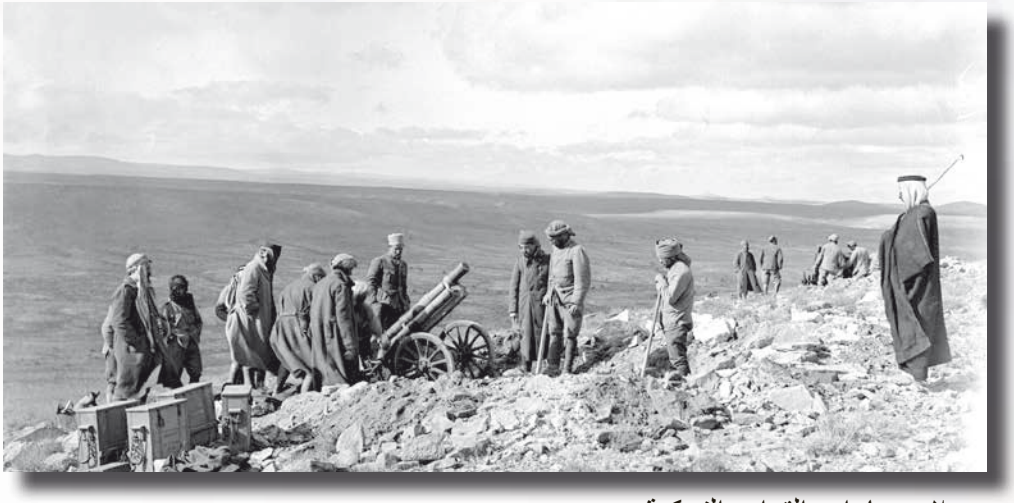

٢. مسارات القوات التركية

من مطالعتنا للمراجع المختلفة نجد هناك تناقضا في الاوامر الصادرة لقوات الفرقة ٤٨ للتقدم نحو الطفيلة فقد اورد صبحي العمري- كما ذكرنا سابقا ان جمال باشا الاصغر قائد القيادة الذي ينتمي اليه حامد فخري قد صرح انه سيعدم حامد فخري لو انه لم يقتل في هذه المعركة لانه قام بهذه الحركة دون امره، اضافة الى ان النصائح اليه كانت بان ينزل بقواته في محطة جرف الدراويش لكنه لم يفعل ونزل في القطرانة، وهنا يورد السيد العدروس في كتابه تاريخ الجيش العربي الهاشمي ص ٨١ رغم اعتداد حامد بك وثقته المطلقة بقوته الا انه كان جاهلا بطبيعة المنطقة الجغرافية، فبدلا من ان يسلك الطريق الصحراوي السهل الى جرف الدراويش ومنها الى الطفيلة التي في ذلك الوادي العميق ذي المسالك الوعرة، سلك طريق وادي الحسا الصعب والذي يتيه فيه الانسان حيث يصعب على الماشي اجتيازه بسهولة .

كان خط القوات التركية"واضحاً" فالانطلاق من عمان بواسطة القطار وصولا الى القطرانه حيث نقطة الترجل والتجمع، ولتحريك القوات باتجاه الغرب الى الجنوب قليلا

وصولا لبدايات وادي الحسا وتسير القوات عبر الوادي ليصل الى منطقة اللعبان حيث مشارف المعركة المعروفة بمنطقة حد الدقيق، ويشير لورنس في رسالة له عن معركة سيل الحسا وهي نفسها معركة الطفيلة ان حامد فخري تحرك من الكرك باتجاه الطفيلة الى منطقة حد الدقيق هذه المنطقة التي تشكل الطرف الشمالي لميدان المعركة ذاته- وتشتهر المنطقة بجبل حد الدقيق المحاذي لوادي اللعبان .

وتصل المسافة التي قطعتها القوات التركية وصولا لميدان المعركة حوالي ٦٠كلم . والواضح هو ان وصول القوات التركية ١٩١٨/١/٢٣ للقطرانة وتقدمهم عبر وادي الحسا وعسكرت هناك ليلاً ليصلوا في مساء اليوم التالي ١٩١٨/١/٢٤ الى منطقة حد الدقيق ومن ثم يحصل الاشتباك الاولي وتحتدم المعركة لليلة كاملة وتستمر المعركة خلال اليوم التالي ١٩١٨/١/٢٥ وتبدأ المعركة تميل لصالح العرب من ظهر ذلك اليوم وتتحول كليا بعد ظهره لتبدأ عمليات المطاردة والقضاء على القوات التركية مع دخول مساء يوم ١٩١٨/١/٢٥.

اما مسارات القوات التركية المحتملة فهي كالتالي :-

المسار المحتمل الاول :

القطرانة – منطقة جبل الاطاويل وجبل الرويضي- منطقة قصر نعمان وقصر ابو ركبة وقصر النمرة – منطقة ذات رأس – منطقة شقيرا الغربية- العينا- مرورا بوادي الحسا باتجاه الغرب- وادي اللعبان- حد الدقيق/ وباختصار مسار الكرك – جنوبا الى سيل الحسا ثم سهل حد الدقيق فمشارف الطفيلة .

المسار الثاني المحتمل :

القطرانه – منطقة السلطاني جنوبا – منطقة الابيض – وادي سوح الحرب- قصر محي –شقيرا الشرقية- العينا – وادي الحسا – وادي اللعبان – حد الدقيق .

لا تحدد المراجع المختلفة المسار الصحيح لان الحديث عن الاشتباك والمعارك انما يبدأ من منطقة اللعبان ونهاية سيل الحسا، حيث يورد السيد العدروس في الجيش العربي الهاشمي ص ٨١: في ليلة ٢٤-٢٥ عسكر حامد بك بقوته في وادي الحسا ومن حسن حظ العرب ان مجموعة من البدو كانت تخيم في نفس الوادي اتقاء البرد فتنبهت للوجود التركي فقامت بازعاج القوه في تلك الليلة وطيلة اليوم الثاني" ثم واصل حامد بك تقدمه واحتلت قواته التلال المطلة على المدينة من الشمال مع ظهر اليوم الثاني ويخبرنا العجلوني في مذكراته ص ٥٣: اتصل نبأ زحفنا بالامير زيد ومن انها وصلت السهل الذي يمتد بين

وادي الحسا والجبال التي تقترب من بلدة الطفيلة ويضيف فسارعت الحامية بقيادة راسم سردست وكمنت لها في المسالك امامها، ونفر اهالي البلدة جميعا الى المرتفعات حول السهول التي تسير فيها الفرقة الزاحفة، وفي كتاب الحركة العربية لسليمان الموسى ص ٣١٠ يذكر وبعد ان اجتازت هذه القوة وادي الحسا واقتربت من الطفيلة اشتبكت معها القوة العربية بقيادة الامير زيد يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩١٨ في معركة استمرت يوما كاملا .

اما صبحي العمري فهو يذكر في اوراقه ص ١٦٥ وتوزعت القطاعات التي ذكرتها في خط دفاعي متجهه للشمال باتجاه العدو المنتظر من طريق الكرك؛ ويضيف في نفس الصفحة: واخر اخبار الصباح تفيد انه قد اجتاز منحدرات وادي الحسا الجنوبية وهو متجه نحونا وان الشريف مستور وخيالته تقوم بحرب الاعاقة وبأن عربان الحويطات بدأت تصل الى اطراف مسير العدو .

واوضح الامير زيد بن الحسين وجهة العدو في رسالته الى الامير فيصل في ١٢ ربيع الاخر ١٣٣٦ الموافق ١٩١٨/١/٢٥ والتي يذكر فيها: العدو تعرض علينا من وادي الحسا الى ان وصل خطوط مدافعة الطفيلة وبعد محاربة ٢٤ ساعة هجمت عليه جنودكم البواسل وطردته وكسرته شر كسره اما مصطفى طلاس نقلا عن مذكرات الامير زيد يقول في كتابه الثورة العربية الكبرى ص ٢٣٩ وقد تحركت هذه القوة عن طريق القطرانة- الكرك وعندما وصلت وادي الحسا الكبير واثناء اجتياز هذه القوة للوادي قام الشريف مستور بمناوشتها والاصطدام بطلائعها

وعليه فان الارجح هو المسار الاول يبدأ من القطرانه باتجاه الغرب الى العينا ثم جنوبا الى وادي الحسا فوادي اللعبان ... وتشير الوثائق الى انضمام الجند والدرك في الكرك بقيادة الملازم محمد الحموي وانضمام جماعة من متطوعي الكرك بقيادة مشافق المجالي للقوات التركية، وهذه تعطي الدليل على ان خط سير القوات كان الاقرب الى الكرك وهو طريق سهل في بدايته ولكن وعند البدء في السير في وادي الحسا فان المنطقة شديدة الوعورة بدليل ان الاتراك لم يتمكنوا من الاستمرار بجر مدفعين كبيرين بسبب وعورة الطريق .

٣. تنظيم القوات العربية في الطفيلة

دخلت القوات العربية الى الطفيلة يوم ١٥كانون الثاني ١٩١٨ من اتجاهين:-

من الغرب : بقيادة الشريف مستور

من الشرق : بقيادة الشريف ناصر بن علي

توفرت معلومات عن القوات التركية من حيث العدد والتنظيم اما عن تنظيم القوات العربية في الطفيلة حتى عشية معركة الطفيلة فقد تفاوتت التقديرات ولكن ضمت القوات العربية قواتا نظامية على رأسها حامية الطفيلة وعددها حوالي ١٨٠جنديا وقواتا غير نظامية لقوات المتطوعين بقيادة بركات المجالي ومتطوعي بني صخر والعقيلات وقوات حرس الامير زيد الخاص اضافة الى القوات التالية:

٢٠ جنديا نظاميا

٣٠ خيالا من المطالقة

٢٢٠ من اهل الطفيلة

١٣ رشاش

١ مدفع جبلي

وشارك بقيادة هذه المعركة القادة :

راسم سردست

عبدالله الدليمي

محمد علي العجلوني، كان ضمن لجنة احصاء الاسرى والغنائم

اشرف احمد

سجان الجناسي

الشريف عبدالله بن العريد

زكي الحلبي

اسماعيل نامق – قائمقام الطفيلة

الشريف مستور

جعفر العسكري

ذياب العوران

محمد الغصين

وقد اوضح مصطفى طلاس حجم القوات العربية في كتابه الثورة العربية الكبرى ص ٢٤٠ حين يقول "تقدمت عند الظهيرة قوة من الجنود العرب النظاميين من الطفيلة تقدر بخمسين فارسا ومائتي متطوع ومعهم خمسة رشاشات واربعة مدافع ميدان، ومدفع جبلي واحد على رأسها الامير زيد بن الحسين ومن ضباطها راسم سردست وعبدالله الدليمي، وكان يعاضد هذه القوة ويساندها رجال الطفيلة والقرى المجاورة خاصة قرية عيمة،

وكذلك فرسان الحويطات والمطالقة وعلى رأسهم حمد العرار الجازي الذي اقسم ان يضحي بنفسه في سبيل القضية العربية.

٤. موقع المعركة

ادرك العرب ان الاتراك لن يسكتوا عن احتلال الطفيلة، بل سيتحركون لاستعادتها، للاهمية التي تتمتع بها هذه المنطقة وكما ذكر فان الاجراءات التي اتخذت بعد دخول الطفيلة، بنيت على الافتراض بأن الاتراك سيهاجمونها لذا كان القرار بأرسال قوات تعمل كحجاب في المنطقة المتوقع ان يسلك منها العدو ويقترب باتجاه الطفيلة، وقاد هذه القوات الشريف مستور ورابطت في منطقة وادي الحسا حيث اتجاه التهديد المتوقع ....

وكان النقاش حول البقاء في الطفيلة او التحرك الى مكان آخر ولكن وبصفتهم المدافعين كانت لهم القدرة على اختيار موقع المعركة

- فاحتمال البقاء في الطفيلة يعني ان القوات العربية لن يتوفر لها ميادين الرمي الواسعة اضافة الى فقدانها كامل السيطرة على الارض باعتبار ان مدينة الطفيلة تقع في صحن عدة جبال محيطة مرتفعة تسيطر تماما عليها بجعلها هدفا سهلا للمدفعية والرشاشات ومن السهل فرض رقابة لصيقة عليها.

- لذا كان القرار بالخروج من الطفيلة وكان الموقع بين خربة العيص وصولا الى خربة كركا في السهل الضيق المحصور بين بداية الانحدار الى الطفيلة جنوبا حتى بداية الانحدار الى وادي الحسا شمالا هو الموقع المناسب لتنفيذ خطة دفاعية محكمة ..... ويتميز الموقع بانه الاقرب الى خط التماس الاول اذ ما اعتبرناه بانه الخط المار عبر وادي الحسا من الشرق الى الغرب وبوادي اللعبان/ والقادم لهذا السهل فان عليه ان يمر بمناطق وعرة كثيره وعليه ان يصعد الى هذا السهل مما يجعله عرضه للنيران والمراقبة والسيطرة على تحركاته ويفقده زمام المبادأة ويجعله في موقف رد الفعل باستمرار وعليه فقد جاء تنظيم القوات العربية على اساس الارض والموقع والقوى البشرية كما يلي :-

الامير زيد بن الحسين / القائد العام لمسرح العمليات

الميمنة	راسم سردست	على رأس الخيالة في ابو بنا(الطفيلة في نهاية سهل حد الدقيق)
الوسط	محمد الغصين	على رأس حرس الامير زيد الخاص باتجاه كركا
الميسرة	صبحي العمري	اهل عيمة من خلف خرائب نوخه ومجادل
	عبدالله الدليمي	المدفعية في تل مجادل
الحجاب	الشريف مستور	مشاه وخياله في وادي اللعبان والحسا

٥. ميدان المعركة

ارض المعركة سهل منبسط ضيق فيه مواقع مرتفعة على شكل منفرد في القسم الغربي من السهل/ يميل هذا الخط نحو الشرق حيث يبدأ بمرتفع نوخه حيث بقايا خربة كبيرة ثم بعد ٣ كلم تقريبا وبخط مستقيم يميل الى الشرق قليلا خربة مجادل وهي خليط من الخرائب الرومانية والتركية والمطموس معظمها في التراب، وتبدو بعض الاقواس الحجرية منها وبعدها وعلى نفس الامتداد خربة كركا، وهي رجم حجري اسود يشرف على طريق الطفيلة والكرك وعلى مدخل وادي اللعبان ومخرج وادي الحسا وتكثر الاودية والمنحدرات الى الغرب من خط الخرائب هذه وتنبسط الارض وتبدو سهلة الى الشرق منها حتى تصطدم بسلسلة من الجبال المتصلة تبدأ من صويميع جنوبا مرورا بشيظم ووادي شيظم وتمتد حتى جبال ابو اصبح، وتتفاوت الارتفاعات بين ١٢٧١ مترا ١١٩٥ مترا و١٠٧٦ مترا .

ونلاحظ ان ميدان المعركة تحيط به سلسلة من القرى من جهة الغرب حيث تبدأ بعيمة، ثم ضبابة، ثم رحاب، وتتميز ارض المعركة بانها من النوع الترابي الذي يتشكل طينا ووحلا بسرعة، فاذا ما اخذنا بالاعتبار ان العمليات كانت شتاء فهذا يعطي ميزة للمدافع بانه يستطيع ان يراقب ويصب اكبر قدر من النيران على المهاجم لطول وقت تعرضه للمراقبة والنيران بسبب بطء سيره نتيجة العوائق الطبيعية هذه في منطقة تشتهر ببردها الشديد لارتفاعها عن مستوى سطح الارض ولكونها في مواجهة الرياح الغربية ومباشرة ، وميزة اخرى توفرت للعرب هي خبرتهم في المنطقة ومعرفة المخارج والمداخل وقدرتهم على المناورة، وهذه جعلتهم يتفوقون على المهاجم ويقاتلون فوق ارض يطمئنون اليها .

رجم كركا

وصل الاتراك الى القطرانة في ١٩١٨/١/٢٣م وتقدموا الى الطفيلة عبر طريق القطرانة الكرك ثم وادي الحسا يوم ١٩١٨/١/٢٤ وتمت المعركة وفقا للسيناريو التالي:-

- اشتباك اولي بالمصادفة مع قوات عربية تعسكر في منطقة وادي الحسا وهذا الاشتباك سبب القلق والازعاج للقوات التركية مساء يوم ١٩١٨/١/٢٣م.
- اشتباك مع قوات الحجاب بقيادة الشريف مستور يوم ١٩١٨/١/٢٤ للتأثير على معنويات القوات التركية واعاقة تقدمها .
- وصول المعلومات لقوات الامير زيد عن حجم قوات العدو واتجاهها .
- اجتياز القوات التركية منطقة وادي الحسا وتغلبها على جيوب المقاومة ووصلت جوانب وادي الحسا العليا الجنوبية، وهذه ترتفع بشكل حاد ومتعرج .
- وصول القوات التركية الى مقدمة سهل حد الدقيق الذي يبدأ مع بدء سفح جبل حد الدقيق، والذي هو كتف وادي اللعبان .
- ثم تركزت القوات العربية والتي اوردنا تنظيمها وعددها في الجزء الجنوبي من سهل المعركة بالاستناد الى خربة العيص وجبل الطفيلة ومستفيدين من مواقع خربة نوخه ومجادل وكركا والتي وفرت السيطرة والمراقبة وتتوفر ميادين الرمي الامامية الواسعة الجيدة فيها .
- مع ظهيرة يوم ١٩١٨/١/٢٤ اشتبكت القوات التركية مع القوات العربية .
- بدأت جموع العرب تتوافد للمعركة بعد تفرقها نتيجة معركة جرف الدراويش هذه الجموع التي كانت تقدم زخماً جديدا في كل مرة للمعركة بحيث حافظت القوات العربية على كثافة النيران بل عملت على زيادتها باستمرار، وهذا اربك الاتراك وجعلهم يعيدون حساباتهم من جديد .
- بدأ العدو بقصف مواقع نوخه ومجادل لتمركز قوات المدفعية والرشاشات فيها
- تقرر ان تكون القوة التي تتقدم من مواقعها لمقابلة العدو كما يلي:

أ- رشاشات عدد ٢

ب- البغالة

جـ- المدفع التركي مع حظيرته (١٠افراد)

د- يكون عبدالله الدليمي ومعه ١٢ بغلا مع الامير زيد

هـ- يكون صبحي العمري مع فصيل رشاشات

و- يعين اسماعيل نامق قائداً لقوة التقدم

- وتقرر ان تبقى القوات التالية في مواقعها

١٢٠ جندي مشاه
المدفع المصري
الملازم بهاء الدين نوري
- احتلال المواقع الشرقية والسيطرة على طريق الكرك الطفيلة والتقدم بثبات والرمي باتجاه العدو .
- تقدم صبحي العمري وتمركز في موقع ما بين نوخة ومجادل وهنا صادف ثلاثة رجال متجهين نحو التلال المطلة على ميدان المعركة .
- اخبر الرجال الثلاثة صبحي العمري انهم متجهون نحو اهل عيمة المرابطين فوق تل خربة بطينة ويستعدون للهجوم، وهنا جرى التنسيق معهم على ان لا يهاجموا حتى يسمعوا صوت صليات رشاش، وان يخبروا اهل عيمة، واتفقوا على ذلك واتفقوا على انهم سيعطونهم اشارة بالتلويح بالمناديل البيضاء عند وصولهم لاعلامه بوصول المعلومات الى الجميع هناك .
- استمرار الاشتباكات طول ليلة ٢٤-١٩١٨/١/٢٥ وبشكل متقطع وغير حاسم بسبب رداءة الاحوال الجوية من جهة وبسبب عدم توفر معدات الرؤيا الليلية اصلا وعدم استخدامها بتلك الفترة مع القوات العسكرية .
- اشتدت المعركة صباح ١٩١٨/١/٢٥م
- تقدم اهل عيمة وهاجموا الاتراك من الجهة اليسرى وصعدوا الجبل الحاد وهذا كان غير متوقع بالنسبة للاتراك الذين اصبحوا عاجزين عن استخدام اسلحتها وتنفيذ تعبيتها الحربية .
- مقتل حامد فخري القائد العام للقوات التركية واسر قادة الكتائب وبدأت الهزيمة تظهر وتبدو في صفوف القوات التركية .
- بدأ واضحا للعرب ان المعركة اصبحت معركتهم وهم يديرونها ويملكون زمام المبادرة فيها، وكثفوا هجماتهم باتجاه العدو الذي بدأ يتقهقر .
- لقد كانت ميمنة القوات التركية قوية الى حد ما لان قوات الحجاب لم تمسك اكتاف وادي الحسا جيدا، بل انسحبت والتحقت بالقوات العربية وهذا اثر على المعركة واطال من وقتها .
- تشكلت فورا قوات جديدة عربية
أ- قوات محمد الغصين ومهمتها اختراق صفوف القوات التركية
ب- قوات راسم سردست ومهمتها الضغط على العدو وارغامه على التقهقر وجعل انسحابه غير منظم .

- استخدمت في المعركة وسيلة تضليلية وهي استخدام (الطقاقات). كان تنظيم اعداد الرشاش كما يلي :

٣ جنود للرمي

٥ جنود لحمل البنادق والذخيرة والتزويد والماء وكل جندي لديه بندقية كل رشاش له طقاقة وهذه مهمتها عند توقف الرشاش عن الرمي يقوم الجنود بضرب الطقاقة بحيث تعطي صوتا يشبه الرشاش وتوهم العدو بان لدى العرب رشاشات كثيرة العدد وموزعة وقد وزعت الطقاقات هذه مع الرشاشات ووضعت على مسافة ٥٠ مترا من الرشاش

- قبل مقتله صاح حامد فخري القائد التركي قائلا(ان العرب قد قلبوا قواعد الحرب عاليها سافلها) وذلك بسبب الاسلوب الذي اتبعه العرب فهناك قوات نظامية اتبعت اساليب القتال الصحيحة اما القوات غير النظامية التي كانت تقاتل فقد اتبعت اساليب مبتكرة ومفاجئة في مقارعة العدو .

- قبل غروب يوم ١٩١٨/١/٢٥ اكمل العرب هزيمة القوات التركية وغادر من نجا من الترك الى الكرك وغيرها .

- تشكلت لجنة لجمع الغنائم واحصائها وتسليمها للقيادة ولاحصاء الاسرى ايضا من محمد علي العجلوني .

اشرف احمد

سجان الجناسي

- كان لورنس يراقب الوضع ولم يتدخل عسكريا بأي شكل كان في المعركة ولم يشعر العرب بوجوده على خلاف مزاعمه التي بعث بها لقيادته والتي يزعم فيها انه وبتوجيهاته وتعليماته تمكن العرب من تحقيق النصر في الطفيلة .

٧. النتائج

انتهت هذه المعركة بتوجيه ضربة قاصمة للاتراك وكانت ردود فعل القيادة التركية يظهر فيه الاستياء من هذه الهزيمة وقد مثلت الطفيلة بالنسبة للعرب ما يلي :

- انها اول مدينة يحتلها العرب بقوات نظامية وينفذون خطة دفاعية حققت الانتصار الواضح .

- تعتبر معركة الطفيلة هذه بحق واحدة من معارك الحرب العالمية الاولى وهي معركة من اشد المعارك قسوة على الاتراك فهذه هي المعركة الوحيدة التي يتم فيها ابادة قوات تركية كاملة .

- اعطت المعركة هذه العرب دفعا جديدا في اعادة التنظيم، وازداد عدد الجيش، وكتب الامير زيد للامير فيصل ولجلالة الملك الحسين بن علي شرح لهم هذه المعركة ويعرض مطالبه واقتراحات لتطوير الجيش استعدادا للعمليات المقبلة.

- ارتفعت المعنويات العربية وبدأوا فعلا يعملون من اجل تحقيق اهداف الثورة العربية الكبرى، ويشعرون انهم يستطيعون تحقيق الاهداف التي من اجلها يقاتلون .

انتهت هذه المعركة وقد كانت الخطة العربية ان يتقدم العرب باتجاه الكرك لتحقيق الهدف الاستراتيجي بالاتصال مع القوات البريطانية لكن شدة البرد ووطأة الطقس والثلوج، اضافة لحاجة الجند للادامة، واعادة التنظيم جعل العرب يرجئون التقدم نحو الكرك، لتنفيذ مرحلة من مراحل العمليات العسكرية لكن تحقق فتح الكرك بدون عمليات عسكرية وسيتضح كيفية ذلك من خلال العملية التركية الجديدة ضد القوات العربية في الطفيلة في ٧ اذار ١٩١٨ خلال البحث في المسارات القادمة

معارك معان

١.مقدمة:-

معان ليست مساراً عسكرياً واحداً فحسب وليست طريق فتح فحسب، وليست معركة بدأت وانتهت، لكن معان هي المسار الدائم في تاريخ الثورة العربية الكبرى، وهي المعركة المستمرة التي ظهرت فيها امور ادركها العرب بعد حين/

أ.فقد ظهر في معان ان الحلفاء لا يريدون للثورة العربية اي نصر حاسم

ب. وظهر في معان قدرة العرب على تحقيق النصر ولكن الاسلحة الحاسمة لم تكن بأيديهم

جـ. وظهر في معان خداع الحلفاء، وكيف انهم ارادوا لجيش الثورة العربية ان يبقى اطول فترة ممكنة وان يتم استنزاف قدرات هذا الجيش الى اقصى حد ممكن .

٢. معان التاريخ

معان مدينة التاريخ في اكناف الصحراء هذه المدينة التي استشهد فيها اول مسلم خارج الجزيرة العربية وهو فروة بن عمرو الجذامي الذي استقبل رسالة الرسول الهاشمي صلى الله عليه وسلم ، ومعان اول من سكنها المعينيون ما بين (١٣٠٠-٦٢٠ ق.م) في عهد الكنعانيين وحكمها الانباط وتأثرت بتجارتهم وخسرت الكثير لزوال الانباط في ١٠٦ ميلادي .

ومعان او "ماعون" او "معون" او "معين" كما ورد اسمها في التوراة تحدث التاريخ

عنها وظهر ذلك في مثل مدونات النقوش الهيروغليفية، والالواح الاشورية والبابلية وما عثر عليه في مواطن الكنعانيين والانباط والتدمريين وموجودات خرائب اليمن والمدائن وسيناء ورقع خرائب قمران وكلها وغيرها التي تحدثت عن تاريخ المنطقة ويذكر بعضها ان معان كانت مصدرا وفيرا للاخشاب وللقمح.

ومعان لم تغب عن التاريخ يوما منذ عهد ما قبل الميلاد بكثير، والاسلام اعطاها بعدا عميقا فمن فوق ارضها انطلقت قوات المسلمين الى سهل مؤته لتأديب الحارث الغساني الذي قتل رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الازدي ولتكون معركة مؤته في السنة الثامنة للهجرة، لتصبح معان بعدها بوابة الديار المقدسة وواحدة من محطات الحج الشامي الهامة ومفتاح الصحراء، والامويون يقولون انهم هم الذين بنوها، وانضمت للدولة العباسية انه خاصة انطلق من جنوب معان بقليل ابو العباس السفاح بدعوته من الحميمة على بعد اقل من ٦٠ كلم، واحتلها الفاطميون وضموها لمصر، وكان للسلاجقة سطوة عليها، واهتم المماليك بها، لكن اهتمام العثمانيين كان اكثر، فقد بنى السلطان سليمان القانوني قلعة معان عام ١٥٦٦ وانشاؤا سدا غربي معان لمنع الفيضان عنها، وجرى تنظيمها كقضاء يتبع لها نواحي الشوبك ووادي موسى وتبوك، ثم اصبحت ناحية اي تراجعت قليلا، ثم شهدت في عام ١٨٥١ بدء التنظيم والاصلاح في العهد العثماني، وتبعت سنجق الاردن الذي كان مركزه السلط، ولكن عاد اعتبار معان واصبحت ذات اهمية عندما اصبحت محطة سكة حديدية رئيسية حين وصلتها السكة عام ١٩٠٦م .

وشهدت معان تطورات كبيرة فيما بعد واهتم الاتراك بها خلال الحرب العالمية الاولى ولم تتمكن القوات العربية من احتلالها واشتركت بهذه الصفة مع المدينة المنورة التي استحكم فيها الاتراك ودافعوا عنها وهذا ما سيأتي فيما بعد ..

ومعان كانت مقر جلالة الملك عبدالله بن الحسين عام ١٩٢٠ وفيها اصدر جريدة الحق يعلو التي كان يحررها محمود الانسي وعبداللطيف شاكر ومنها انطلق المغفور له الى عمان مرورا بالقطرانة والجيزة ليصل الى عمان في ٢ اذار ١٩٢١ ليشرع في تأسيس الدولة الاردنية .

٣- الوصف العام لمنطقة معان

معان ارض صحراوية ترتفع (١١٠٠ متر) عن سطح البحر كمعدل عام وهي تمتاز بالبرودة شتاء والجفاف والحرارة صيفا اضافة لتباين حرارة الليل عن النهار .

وارض معان وما حولها منبسطة لكن الطيات الارضية تكثر فيها، وهناك بعض المرتفعات

التي لا يزيد ارتفاعها عن ١٣٠٠ متر تحيط بالمدينة من جانبها الغربي والجنوبي، واشهرها مرتفع سمنة ووادي العقيقة ووادي المحطة ووادي الجرذان ووادي وهيدة، وتكاد معان تتوسط مواقع عديدة حولها فهي الى الشرق من وهيدة واذرح والى الشمال من ابو اللسن ورأس النقب والمريغة والى الجنوب من عنيزة والجرذان، والى الغرب من الجفر والمدورة والشيدية وبالتالي فأنها تستحق ان تكون جوهرة الصحراء وعن معان يقول الشاعر:

لمن الدار اقفرت بمعـــان بين اعلى اليرموك فالجمان
ذلك مغنى لآل جفنة في الدهر محلا لحادث الازمـــان

" صورة محطة سكة حديد معان"

٤- موقف القوات التركية

١. التحديدات على القوات التركية

تتمركز القوات التركية في منطقة معان في منطقة صحراوية وتتأثر هذه القوات بالعوامل التالية :

أ. البعد عن المراكز القيادية الرئيسية في دمشق او الناصرة او المدينة المنورة في الجنوب ولا تقل المسافة عن ٧٠٠ كيلو متر وهذا يؤثر في عملية اتخاذ القرار .

ب. تتمركز القوات التركية في ارض عربية ووسط شعب عربي ولهذا تأثيره السلبي

حتى على الرغم من ان بعض سكان معان قد انحازوا للقوات التركية لاعتبارات معينة لها مبرراتها الا ان الوضع العام ليس في صالح القوات التركية .

جـ. نجح العرب في قطع خط الاتصال بين معان والمدينة المنورة لنجاح عملياتهم في المدورة وغدير الحاج وابو طرفة والرملة وبطن الغول وعقبة حجاز وغيرها وبالتالي عزلت القوات التركية من الجنوب .

د. نجح العرب في عملياتهم شمال وغرب معان في الوهيدة وابو اللسن وبسطة وغيرها واثروا على ابو الجردان في الشمال التي شهدت اربع معارك مختلفة وان لم يستطع العرب احتلالها تماما الا ان هذه العمليات اسهمت في عزل معان من جهة الشمال والشرق .

هـ. لم تتوفر اية مصادر عن عملية تموين واحده وذخيرة للقوات التركية وهذا يفرض تحديد على استخدام الاسلحة وتوجيه نيران كثيفة للقوات المهاجمة .

٢- وضع القوات التركية

اخذت القوات التركية تنظر الى معان كمركز استراتيجي هام لقواتها واعتبرتها ورقتها الرابحة ولم تعر كل الاهتمام لكل الخسائر التي لحقت بها في اطراف معان من كل جهاتها، ومعان هي محطة سكة حديد من الدرجة الاولى وهي محطة تحويلية صناعية وصيانة تامة. من هنا وضعت خطة الاتراك لتوضيع قواتهم في المنطقة لحماية المراكز التالية

أ. قيادة جمال باشا الثالث

ب. مركز قوات الحفاظ على الخط الحديدي

وكانت القوات التركية كالتالي:

أ. خط الدفاع الرئيسي في الغرب حيث اتجاه الهجوم الرئيسي المحتمل والذي يبدأ الخط بعد ٥ كيلو متر غرب معان بامتداد تلول السمنات من جهة الجنوب مرورا بوادي سمنة حتى تلول السمنات الشمالية في اطراف وادي الجرذان ...

ب. خط الدفاع الشرقي على امتداد التلال الشرقية للمحطة حيث ترتفع طبيعة الارض في تلك المنطقة ثم انحدارها لوادي المحطة الذي يمر بالقرب من القلعة وبركة معان .

جـ. خط الدفاع الثالث يسند خط الدفاع الاول خلف تلول السمنات

د. خط الدفاع الرابع وهو على اطراف بساتين معان وبيوتها ويتصل مع خط الدفاع الثاني ويتلاقى معه في الجهة الشمالية .

هـ. القيادة الرئيسية داخل معان حيث وضعت في مكان تحت الارض واحيطت بالقوات التركية .

وقد استهدف هذا التنظيم ما يلي :

أ. الاستفادة من بعد خط الدفاع الاول (حوالي ٥ كيلو مترات) حتى تكون نيران القوات المهاجمة بعيدة ولا تصل الى مركز القيادة ولا الى المحطة اخذين بالاعتبار اقصى مدى للاسلحة المستخدمة لدى القوات العربية .

ب. ان يكون مطار معان ضمن خطوط الدفاع وتوفير الحماية له .

جـ. حماية المحطة نفسها وابعاد القوات العربية عن التحصينات والمناطق المبنية.

د. امتصاص زخم الهجوم العربي الذي يهدف الى تحقيق النجاح واختراق اكثر من خط دفاعي في الجبهة.

هـ. كسب الوقت بحيث تطول المعركة وهذا يوفر الفرصة لوصول النجدات الى القوات التركية. واذا ما عدنا الى الوثائق المرفقة ستجد تأثير ذلك واضحاً عندما استخدمت القيادة التركية الخدعة ضد جنودها عندما اخبرتهم ان هناك نجدات ستصل الى معان لأسنادهم.

٥. حجم القوات التركية في معان

لا تتوفر مصادر تعطي معلومات دقيقة عن قوات الاتراك المتحصنة في معان ولكن المؤكد انها فرقة من قوات الجيش الرابع الذي يقوده جمال باشا ومركز قيادته دمشق وهي فيلق (-) يبلغ تعداده حوالي (٧٠٠٠) جندي ويقول العدروس في تاريخ الجيش العربي ص (٢٢٩) ان القوات التركية المرابطة في معان تبلغ (٤٦٠٢) جندي بقيادة (علي بك) ويذكر سليمان الموسى ومنيب الماضي في كتاب تاريخ الاردن في القرن العشرين ص (٧٥) ما نصه "كان جمال باشا ينوي الاحتفاظ بعمان حتى تصل قوات الفيلق الثاني المتراجعة من معان ومحطات سكة حديد الحجاز " وقد كانت قوات الفيلق الثاني في عمان بقيادة ياسين الهاشمي.

واذا ما عدنا الى تنظيم دفاعات الاتراك في معان فأنها تعطي الدلالة على ضخامة العدد المتواجد في المنطقة خاصة وان المعارك حدثت في اواخر نيسان ١٩١٨ بعد تحرير مناطق غرب وشرق وجنوب معان وجميع القوات التركية التي كانت موجودة في مواقع وهيدة وبسطة ودلاغة والمريغة ووادي ابو الرتم والمدورة وتلول الشحم ورملة وابواللسن والفقى والطاحونة، قد تجمعت في اقرب مركز عسكري لها في معان وهذا ضاعف من حجم القوات التركية فيها وبقيت منطقة الشمال حيث ترابط قوات ابو الجرذان واخرى في عنيزة، وقد وصلت امدادات عسكرية من هذه المواقع الى معان في اللحظات الاخيرة وبعد توقف القصف المدفعي المساند للقوات العربية مما اتاح للقوات التركية الفرصة لتسديد رشاشاتها واسلحتها نحو القوات العربية والحاق الخسائر فيها ومكنهم من الخروج من

خنادقهم وتحصيناتهم لاعادة احتلال المواقع التي اخلاها العرب نتيجة للتبدل في الموقف .

٦. موقف القوات العربية

تتميز قوات الثورة العربية الكبرى(النظامية وغير النظامية) بمميزات خاصة تجعلها تتفوق في ميادين العمليات العسكرية اهمها:

أ. القيادة الهاشمية الممثلة بالشريف الحسين بن علي وانجاله الذين آمنوا باهداف سامية تنبع من قيم الاصالة العربية والسيادة العربية المطلقة.

ب. الرغبة الجامحة لدى كل جنود الثورة العربية لتحقيق هدف الاستقلال والوحدة والحكم والاستقلال العربي.

جـ. قناعة كل الفئات والشرائح الممثلة للعرب باهداف الثورة العربية الكبرى وانها انما جاءت لتلتقي واماني كل عربي وطموحاته .

د. قوات الثورة تقاتل فوق اراضيها وبين شعبها ومن اجلهما معا (تحرير الارض والانسان) وبالتالي فهي تكسب صفة التفوق على القوات الاخرى الموجودة فوق الارض العربية.

هـ. قوات الثورة العربية هي عربية بمعنى الكلمة لها قاعدتها العربية في ارجاء الوطن العربي وشارك في قيادة قواتها ومعاركها القادة من جميع الاقطار .

لهذه الاسباب فقد كان اندفاع العرب المنتظم نحو تحقيق اهدافهم وعلى اساس خطط له بطريقة ترقى لمستوى التنظيم في اي جيش في العالم في حينها وبهذا كان الموقف العربي يرتكز على اكتساب صفة الشريك الكامل في المعركة كحليف مكتمل الشروط .

وقد تأثر حجم القوات العربية بعوامل عديدة يصعب معها الوقوف على العدد الحقيقي لها وذلك للاسباب التالية:

أ. التغير في بعض الاحيان في المواقف لبعض العشائر لاسباب خاصة بهم وتتصل بالعلاقة ما بين العشائر انفسهم فنجد ان العشيرة "أ" مثلا تعارض العشيرة"ب" وبالتالي فان كلا العشيرتين تتخذان مواقف معادية للاخرى، فان التحقت هذه العشيرة"أ" بقوات الثورة العربية نجد ان العشيرة"ب" تلتحق بقوات الدولة التركية وهكذا.

ب. ان كثيرا من الجنود غير النظاميين يتركون ساحة المعركة بعد تحقيق هدف تلك المعركة ولا يعودون وهذا يؤثر على العمليات اللاحقة.

جـ. ان نسبة القوات غير النظامية كبيرة وهي تتفاوت من حين لآخر ففي معركة الطفيلة مثلا بدأت المعركة بعدد قليل من القوات غير النظامية لكن ما لبثت ان تصاعدت اعدادها

بعد ان وفد الرجال المتطوعون من بلدة عيمة مثلا واخرون من جرف الدراويش وبالتالي فقد كانت المعركة في ذلك اليوم على وتيرة واحدة من زخم الهجوم وقوة النار لأن المدد بالقوات كان متصلا ومستمرا على مدار اليوم كله.

د. لا يوجد تنظيم عسكري موازي لقوات الثورة بحيث يستطيع كل قائد ان يوفر حجم قواته التي ستشترك في المعركة لأن كل زعيم عشيرة مثلا يحشد قواته لكل مهمة في حينها وهذا يتوقف على الموقف العام في ذلك اليوم ويؤثر هذا على التخطيط للمعارك اللاحقة، لان القائد لا يستطيع معرفة حجم قواته الحقيقي .

ويمكن حصر قوات الثورة العربية البرية الكبرى التي شاركت في معان من خلال الاستطلاع والبحث في المراجع المختلفة كالتالي:

(أ). القوى البشرية

١. الفرقة الاولى في سمنة وتعدادها	(٣٠٠٠ تقريبا)
٢. قوات عشائرية	(٣٠٠٠ مقاتل)
٣. سرية اليمانيين	(١٥٠ مقاتل)
٤. اربع افواج مشاة كل فوج	(٦٥٠ تقريبا)(٢٦٠٠ مقاتل)
٥. قوات اللواء الثالث من الفرقة الثانية	(٧٠٠ مقاتل)
٦. قوات المدفعية والرشاش	(٣٠٠ تقريبا)
المجموع العام التقريبي ١٠٠٠٠ جندي تقريبا	٩٧٥٠ تقريبا

ويعتقد ان هذا العدد منطقي وهو اقل عدد ممكن لهذه القوات التي كان يقودها الامير زيد بن الحسين ومعه جعفر العسكري، اما عن تنظيم هذه القوات وتسليحها فهو كالتالي :

١. تنظيم القوات العربية

٢. الاسلحة من المدفعية خاصة

ب. التنظيم / الاسلحة

اورد صبحي العمري في كتابه الاوراق الاولى/ الثورة العربية الكبرى ص ٢١٠ تفصيلات المدفعية وهي كما يلي

نوع المدفعية	العدد	القـائـد

١. مدافع ابوس	١	بقيادة الملازم احمد البغدادي
٢. مدفع صحراوي ١٨باوند	٢	بقيادة الملازم سامي رؤوف
٣. مدفع غروب سريع	٢	بقيادة الملازم احمد الشنقيطي
٤. مدفع جبل غروب	٢	بقيادة الملازم الحاج احمد بكر
٥. مدفع مصري ٧سم	٢	بقيادة رفعت شوكت
٦. مدفع جبل فرنسي	٢	بقيادة الكابتن بيزاني
٧. مدفع هوجكس ٢،٥سم	٤	بقيادة جميل المدفعي
٨. رشاش	٢٠	
٩. بنادق	٥٠٠٠	
١٠. مسدسات	١٠٠٠	

٧. دور الحلفاء في معارك معان

الحلفاء (البريطانيون والفرنسيون) عملوا في صفوف الثورة العربية الكبرى، وهمهم الاول خدمة مصالح بلادهم بالدرجة الاولى، ونلاحظ هنا انهم حتى يتمكنوا من خدمة هذه الاهداف لا بد وان يقدموا الاسناد والدعم لقوات الثورة العربية الكبرى وهذا الامر بحد ذاته كانوا لا يرغبون، فيه لانهم لا يريدون في الوقت نفسه ان تصبح القوات العربية مؤثرة في الساحة وتصل الى مستوى الشريك الكامل الذي يفرض مطالبه ويجلس الى جانب المنتصرين في المفاوضات. وقد كشفت معان عن الدور الحقيقي لهم قبل واثناء المعركة. ففي يوم (٨ نيسان) ١٩١٨ تقرر عقد لقاء لوضع خطة للهجوم على معان حضره القادة العرب واعضاء البعثة الانجليزية العسكرية، وقرر القادة العرب شن الهجوم فورا على معان خاصة:

١. لأن تعداد الجيش الشمالي قد بلغ ثمانية الآف مقاتل تقريبا وهذا يشكل قوة تؤهله للقيام بالعمليات القوية والحاسمة.

٢. تلقت القوات العربية مساعدة واسلحة كافية (اسلحة خفيفة فقط).

٣. يسند هجماتها وحدات مدفعية فرنسية.

لكن موقف البعثة الانجليزية كان مختلفا فقد وقفت ضد تنفيذ اية هجمات على القوات التركية، واعتبروا اية عمليات عسكرية ضد معان مجازفة ومغامرة لا يعرف مدى عواقبها واستشهدوا في حججهم على ان معان منطقة مكشوفة يصعب التستر والاختفاء فيها وتطبيق مناورات الهجوم والالتفاف وغيرها، اضافة الى ان العرب ليست لديهم

الخبرة الكافية في التعامل مع التحصينات وخطوط الدفاع المنظمة، ولكن يحصل التبدل في الموقف الانجليزي رغم كل ذلك عندما تبرز الحاجة لتنفيذ عمليات عسكرية في اي موقع واي مكان ضد قوات الاتراك يمكن ان تحقق كسبا معنويا وتؤثر في مجمل العمليات العسكرية في المنطقة، وظهر الامر واضحاً حين كانت قوات الحلفاء تستعد لتنفيذ هجوم شامل في منطقة اريحا وشمال فلسطين، ولكن اصطدم هذا ايضا بخوف الانجليز من اي انتصار عربي، واجلوا البحث فيه لكن الاحرار العرب كانوا وراء تنفيذ الهجوم على معان وفي التوقيت المحدد الذي وضعته القيادة العربية دون اعتبار لوجهات نظر الاجانب الذين يرغبون ان تسير الامور وفقا لرغباتهم ومقتضيات مواقفهم العاجلة في كل موقع وليس وفقا للاماني العربية، لذلك وضعت الخطة العربية على اساس الهجوم الشامل لاحتلال معان .

ونجح العرب في تنفيذ مخططاتهم وسارت العمليات العسكرية وفق الخطة المرسومة وتمكنوا من الوصول الى قلب محطة سكة الحديد، وعطلوا مطار معان واستولوا على مصادر المياه في المنطقة، لكن الدور الانجليزي والفرنسي ظهر جليا هنا ضد تحقيق النصر العربي ولكن يثبت هؤلاء على انهم محقون في وجهات نظرهم وان الهجوم على معان مجازفة، اوقفوا الاسناد المدفعي تماما رغم ان المدفعية الفرنسية لم تطلق اكثر من (٢٠) طلقة بحجة نقص الذخيرة وانسحبوا الى اوهيدة غربا وتركوا الجبهة وهذا اتاح الفرصة للرشاشات التركية لتسديد نيرانها على القوات المهاجمة وخرج الجنود الاتراك من خنادقهم وصبوا نيرانهم على القوات العربية التي كانت تقاتل باندفاع شديد لكن تبدل الموقف، وتأثرت قوة النيران العربية والمسددة مما جعل العرب يتراجعون الى الخلف لتفادي الخسائر الكبيرة التي بدأت تلحق في صفوفهم .

المؤشرات حول الهجوم تعطي دلالات على الفشل، لكن القوات التركية متحصنة تماما وتملك امدادات هائلة من الاسلحة والتموين ويسندهم بعض المدنيين الذين كان يساعدون القوات التركية لا رغبة في اسنادهم وانما تجنبا لبطشهم وخوفا على اهلهم، وهذا كان عاملا محددا على اسلوب الهجوم الذي نفذته القوات العربية بحيث لا تلحق الاذى باهل معان وبأي شكل كان .

واعظم نتائج معارك معان اكتساب العرب لخبرات مميزة في القتال القريب وادخال ذلك الرعب في قلوب الاتراك الذين لم يستطيعوا مغادرة المنطقة بأية حال، وعندما صدرت اوامر الانسحاب اليهم في ٢٢ ايلول ١٩١٨ بادروا فورا لتنفيذ هذا الامر وخرجوا من

المدينة ليلاقوا مصيرهم بعد ذلك في زيزيا (الجيزة).

٨. الهجوم العربي على معان

ذكرنا دور الحلفاء في الاعداد للهجوم على معان، وتناولنا التحديات على الهجوم ورأي الانجليز والفرنسيين في مراحل الهجوم، وتناولنا ايضا تنظيم القوات التركية وخطوط دفاعاتها وموقفها العام مقارنة بالموقف العربي ونورد هنا خطط الهجوم على معان، التي تدل على ان القوات العربية كانت تنفذ هجماتها وفقا لتعبية عسكرية متوازنة ومدروسة يجعلها فعلا جيشا نظاميا مقاتلا محترفا وليست قوات اغارة وهجمات محدودة وعصابات مثلما يروق للبعض ذكر ذلك للتقليل من شأن عمليات الثورة العربية الكبرى من اجل اهداف تتعارض والاماني العربية.

وبالرجوع الى المذكرات العديدة والابحاث فيمكن رصد خطط الهجوم على معان وفقا لهذه المصادر مع اختلافها فيما بينها لكن كل محلل يدخل افكاره الخاصه ورؤيته في تناول هذه الخطط وتاليا بعض هذه الخطط :

١. خطة الهجوم في رأي مولود مخلص.

ذكر مولود مخلص في الترجمة المكتوبة عنه لمؤلفها الدكتور محمد حسين الزبيدي ص ١١٦ انه كان مع استراتيجية الهجوم المباشر وفقا للخطة التالية التي وافق عليها الامير فيصل وجعفر باشا العسكري وعارضها نوري السعيد:

أ. تزحف قوتان محمولتان الاولى بقيادة جعفر العسكري والثانية بقيادة نوري السعيد للسيطرة على خط سكة الحديد في وادي الجردان شمالا ومحطة غدير الحاج جنوبا .

ب. بعد تحقيق هذا الهدف تتحرك القوتان نحو معان مع تدمير الخط اثناء الزحف .

جـ. يتم تنفيذ العملية الرئيسية لاحقا اعتمادا على النتائج التي يحققها هذا الهجوم .

وقد حقق العرب النجاح في هجومهم حسب الخطة واتصلت قوات نوري السعيد بقوات جعفر العسكري مساء ١٣ نيسان ١٩١٨ واكتمل الاتصال يوم ١٤ نيسان، وتولى جعفر العسكري القيادة العامة. واتى تفصيل ذلك في سياق هذا الجهد.

٢. خطة الهجوم كما اوردها صبحي العمري: ذكر العمري في مذكراته ص ٢٠٩ من اوراق الثورة العربية الكبرى- انه في ٨ نيسان عقد مؤتمر دولي خاص لهذه الغاية حضره الامير فيصل ونوري السعيد والكولونيل دواني لوضع الخطة حيث كانت كما يلي :-

أ. المرحلة الاولى: الاستيلاء على محطة غدير الحاج في جنوب معان ومن ثم تخريب خطوط سكة الحديد في الجنوب والشمال وبعدها تعود المفرزة الى ابواللسن بعد ترك

مفرزة صغيرة للرصد في الجهة الجنوبية .
ب. المرحلة الثانية: تقوم الفرقة الثانية المرابطة في عين نجل في اليوم نفسه بمهاجمة محطة ابو الجردان، وبعد الاستيلاء عليها تقوم بتخريب خط السكة وترك مشاة للرصد والانذار في الشمال ثم تلتحق بابواللسن .
ج. المرحلة الثالثة: وتبدأ في ٢٤ نيسان ١٩١٨ حيث تقوم الفرقة الاولى بمهاجمة تلول السمنات وبعدها تهاجم القوات الاصلية في معان حسب الخطة المقررة، وتضمنت هذه الخطة تفصيلات الهجوم على معان وتنظيم القوات المهاجمة حسبما ورد في الحديث عن موقف قوات الثورة العربية الكبرى.
٣. الهجوم على معان كما اورده محمد علي العجلوني : ذكر محمد علي العجلوني الذي قاد سرية في المعركة ان الهجوم على معان تميز بالدقة والمستوى الفني المتقدم حيث يقول:-
" واستعد الفريقان لهذه المعركة استعدادا فائقا وعلى مستوى فني اعلى مما كان قبلا مع الفارق بالاوضاع، فان جيشنا يهاجم في فضاء مكشوف والعدو متحصن بخنادقه ومن ورائه المحطة تمده بالنجدات وبالذخيرة".
ويذكر العجلوني مجمل الخطة على معان عندما يقول وبعد تمهيد المدفعية شرعنا في الزحف في افواج المشاة على الخط الاول .
والعجلوني كمقاتل في المواقع الامامية وكقائد لسرية مشاة في لواء المشاة الذي يقوده امين الاصيل الدمشقي تحدث كعسكري محترف تناول التطبيق العملي للخطة وابعادها واثر توقف القصف المدفعي الفرنسي في احرج اللحظات خاصة وان الاتراك كانوا على وشك الاستسلام وهو يقول هنا:
" لقد كانت المفاجأة مذهلة فقد كانت المدفعية الفرنسية متوقفة عن مواصلة قصفها، فسهلت للعدو استخدام مدفعية الرشاش بحرية تامة ولم نبلغ الخط الثالث حتى فقدنا نصف الضباط الذين يندفعون امام الجنود في الهجوم بين جرحى وقتلى وكانت الخسارة في الجنود فادحة جداً ..."
خطط الهجوم على معان كما وردت في مذكرات الامير زيد بن الحسين :
تناولت رسائل الامير زيد بن الحسين الميدانية التي تعتبر افضل الوثائق التي تحدثت بشكل واقعي وعملي عن مجريات المعارك جميعها، تناولت معارك معان بالذات في مواقع متفرقة في رسائله لكننا لا نجد رسالة خاصة بمعارك معان بالذات والسبب انه كان يعرض في كل رسالة له الموقف العسكري العام كقائد لا يختص بمنطقة محددة دون الاخرى ولكن

اورد هنا نص رسالة من الامير فيصل بن الحسين الى الامير زيد مؤرخة في١ رجب ١٣٣٦ الموافق ١٢ نيسان ١٩١٨:

" وصلتنا بشارتكم ولا شك ان بشائرنا وصلتكم الآن نحن نحكم سمنة العدو لازم جبل الشعار ويرمينا بمدافعه، بقدر ما يمكنكم اسرعوا بالتوجه الى الجنوب بعد ان تبقوا من يحمي ظهركم من عنيزة، وتوجهوا على معان ربما اننا باكر نهاجم معان انا في وهيدة، نوري في سمنة مولود جرح في رجله ولكن ان شاء الله طيب شهداءنا اربعة فقط وسلامي على كافة الاخوان .

٩. خسائر معارك معان

ندين لوثائق الامير زيد بأنها تكاد تكون الوحيدة التي دونت خسائر معارك معان في الجانب العربي واثبت نص رسالة الامير زيد الى الملك الحسين طيب الله ثراه مؤرخة في ١٠ شعبان ١٣٣٦هـ الموافق ١٩١٨/٥/٢١م بعث بها من الفقي غرب معان .

من:- زيد الى الملك حسين

الفقي: ١٠ شعبان ١٣٣٦هـ

١٩١٨/٥/٢١م

تشرفت بالارادة الملوكية المؤرخة ٢٤ رجب ١٣٣٦هـ وبها علم احسان الجلالة للملوك وسام النهضة، مدالية تذكار حرب معان، فعسى الله لا يحرمني من بقاء ولي النعم .. ولا شك ان الوسامات التي ننالها في ميادين القتال اكبر شرف لنا ولغيرنا من الذين يريدون استقلال البلاد العربية تحت ظل راية صاحب الشوكة ... لم يحدث ما يوجب عرضه بهذه المناطق بعد المحاربات السابقة سوى ان عبدكم بمن معه من الجنود العربية هاجمنا الجردونة ثانية وغنمنا مدفع جبلي، وثلاث رشاشات و ١٨٠ اسيراً علاوة على الخراب المستمر في شمالي معان . تم بعد اخذنا المحطة المذكورة بيومين اتت قوة مركبة من ثلاثة مدافع صحراء واربعة رشاشات، و٤٥٠ جندي من معان، وهجمنا عليهم في المرة الثالثة ودخلنا استحكاماتهم واخذنا مدافعهم، ولكن مع مزيد الاسف بعد ان اراد العدو التسليم وبالفعل سلم منهم ١٣ جندي، ورأوا جند صاحب الشوكة متقدمة عليهم بكل بسالة وشجاعة، غدروا بهم واطلقوا عليهم القنابل اليدوية واستشهد في هذه الاثناء قائد اللواء الثاني السيد علي مع مرافقه السيد مصباح البيروتي وقسم من الجنود الذين دخلوا الاستحاكامات، والقسم الباقي تراجع عقب هذه المسألة . ولا شك ان هذا من المقدرات الألهية. اما شهداؤنا فهم ستة ضباط بمن ذكرت اسماءهم اعلاه و ٢٠ جندي ، والجرحي كثيرون ولكن خفيفه،

وان شاء الله قريب سنأخذ الثأر منهم على غرم لجنود صاحب الجلالة .
ولي النعم، لا يمكن المملوك تقدير الاعمال التي يعملها الضباط والافراد بصورة التفاني، كل ذلك لاستقلال بلادهم .. وقد فقدنا في معارك معان ٢٦ ضابط بين شهيد وجريح ما عدا الجنود، والقسم الاعظم من الشهداء من قواد الفرقة والالوية والافواج .
امس نسفنا جسر مركب من تسع عيون وارتفاع خمسة امتار مع قضبان كثيرة بين الجردون وعنيزة .

"صورة وسام معان"

١٠. تحليل لسير العمليات حول معان

من خلال الاحداث حول معان فاننا نصل الى تلك الصورة التي كان الجيش العربي يحاول تحقيق حسمٍ سريعٍ في المنطقة ليلحق بركب قوات الثورة العربية في الشمال حيث كانت تعسكر في الازرق او بدأت بالتوافد الى المنطقة الشمالية استعدادا للانتقال الى مسرح الشام .
وخلال الاحداث السابقة فأننا نلاحظ ان معان لم تتعرض للحصار او الهجوم في الفترات الماضية، بل كانت القوات العربية تتخطاها او تتجاوزها حتى قوات الثورة اول ما بدأت من الجفر باتجاه العقبة في الاول من تموز ١٩١٧ قد اتجهت الى الجنوب من معان باتجاه غدير الحاج ثم الى ابواللسن، ورأس النقب نزولا الى وادي اليتم على الرغم من امكانية قوات الثورة المسيطرة على المنطقة في حينها لكن الاعتبارات العشائرية والحذر الشديد

لعبت دورها في تأجيل هذه العملية.
وعندما تقرر الهجوم على معان في ١٨ نيسان ١٩١٨م توفر لدى العرب القوات العسكرية حيث بلغ تعداد هذه القوات حوالي عشرة الاف مقاتل معززة بقطع مدفعية وغيرها، لكنه لم يتوفر لديهم:
١. التنظيم العسكري المتكامل الذي ينسق عمليات القوات النظامية والقوات غير النظامية، وظهر ذلك واضحا في القوات غير النظامية التي كانت تنفذ عمليات منفصلة .
٢. لم تتوفر المعلومات الكافية حول تنظيم دفاعات القوات التركية ولا حول حجم قواتها، وقد ظهر ذلك واضحا من خلال قراءة الوثائق المتعلقة بهذه المعركة والتي ورد فيها ان القوات التركية كانت على وشك الاستسلام ولكن حدث تحول مفاجئ في الموقف العربي فبعد ان اقتحم العرب كل دفاعات الاتراك ودخلوا المحطة بدأوا بالانسحاب واخلاء المنطقة والعودة الى تلول السمنات .
لقد كان موقف القوات العربية وكما هو واضح في سياق هذا الجهد موقفا متوازنا يؤهلها لمسك زمام المبادرة وتسيطر على المعركة وتقودها لصالحها، وجاء تنظيمها ليحقق المهمة المطلوبة، ولكن الى اي مدى تم تسخير هذا التنظيم لخدمة المعركة ؟
والاهم من كل هذا ان عامل الاستخبارت كان ضعيفا الى الحد الذي لم يعرف العرب شيئا عن حجم انجازاتهم وتقدمهم على طول خط الجبهة في معان فقد اجتازوا كل خطوط الدفاع التركية وهم لا يعلمون حتى ان احد الجنود استولى على جرس المحطة نفسها، ولا يعلمون شيئا عن موقف القوات التركية التي اخذ قادتها يكذبون على جنودهم بأن هناك نجدات عسكرية قادمة في الطريق من الجردانة وعنيزة وهم يدركون حراجة الموقف وصعوبته.
ومن قراءة سير العمليات العسكرية ايضا نجد ان القوات العربية كانت تركز على احراز النجاح واحتلال الارض وعندما تنسحب القوات التركية من موقع معين لا تتابعها القوات العربية لالحاق الخسائر علماً ان افضل الفرص لالحاق الخسائر هي في عدو منسحب، وانما تكتفي بأن تحل محل القوات المنسحبة فقط . واستشهد هنا بما ذكره مولود مخلص في مذكراته ص ١١٩ حيث يقول " ولما رأيت العدو يتقهقر دون مضايقات خيل الي ان من العار علينا ان نترك امر انسحاب العدو من دون ان يتكبد خسائر، ولكن ماذا اعمل ولم يكن لدي قوة راكبة للمطاردة وبما اني لم اتمكن من ان اضبط نفسي وابقى متفرجا على هذه الفرصة الثمينة فقد اضطررنا الى الاسراع بتحريض خيل الامير فيصل الذي كانوا بالقرب منا وعددهم يزيد على الستين خيالا وتشويقهم للانضمام للهجوم على العدو المتقهقر ومطاردته، فوافقوني وهجمنا جميعا على سرية تركية كانت قد اسرعت بالانهزام

فاسرناها عن بكرة ابيها ثم طاردنا سرية اخرى لكن بعض الخيالة تأخروا وانشغلوا بجميع اسلحة الاتراك الاسرى مما اضطرني للوقوف والانبطاح ارضا وتعرضنا لنيران شديدة وجرحت في هذه المعركة ..."

ومهما يكن فان عمليات القوات العربية بقيادة الامير فيصل بن الحسين كقائد عام، وقيادة الامير زيد بن الحسين كقائد ميدان في حينها اظهرت القوة العربية والتصميم الاكيد علىتحقيق المهمة وان التنسيق قد وصل الى مستوى عالٍ ففي الوقت الذي كانت تشن به القوات العربية هجومها ضد معان كانت القوات العربية في شمال معان تهاجم محطات الامداد والتعزيز خاصة محطة الجردون التي اختير الهجوم عليها في منتصف ليلة ٢٤ نيسان ١٩١٨م لتتزامن مع الهجوم على جبهة معان، وان القوات النظامية قد ادت مهمتها بتخطيط سليم وتنسيق وترك الامر للقوات غير النظامية لتنفيذ هجمات عصابات واغارات تتفق ونمط الزعامة القبلية التي ترغب دائما ان يكون لها حضورٌ مميزٌ بعيدا عن الاوامر التي تصدر من الاسياد انفسهم ...

وظهر في معارك معان قلة الخبرات العربية في الهجوم على المواقع المحصنة وادرك الاتراك نقاط الضعف هذه لدى العرب فاكثروا من انشاء التحصينات ولهذا نلاحظ التحصينات ممتدة على طول خطوط سكة الحديد وفي المناطق الداخلية للوقوف امام الهجمات العربية .

ونلاحظ ان نشأة التحصينات العسكرية وبناءها قد بدأ في اثناء معارك معان، وايضاً اخذت القوات التركية تتجمع في نقاط قوية ويلاحظ ايضا ان مسار العمليات العسكرية للثورة العربية قد اخذ ينحصر في منطقة مسار سكة الحديد وما حوله، لان الاتراك ارادوا السيطرة على خط السكة لضمان خط الانسحاب والامداد كذلك. ولهذا فان معظم التحصينات ومرابض الرشاشات او خنادق المشاة هي حول مسار خط سكة الحديد وضمن مسافة لا تتجاوز الخمسمائة متر على جانبي الخط .

مذكرات في الثورة العربية الكبرى : مذكرات محمد علي العجلوني ، صبحي العمري ،محمد الغصين ، مصطفى طلاس ،مذكرات الملك عبدالله الاول ، مولود مخلص ، بكر خازر المجالي .

الباب الخامس

١. موجز في تاريخ لورنس

توماس ادوارد لورنس المولود في بلدة ثرمادوك في مقاطعة كارنارفونشير(ويلز) بتاريخ ١٦ آب ١٨٨٨م والمتوقي بحادثة دراجته التي لا يزال الغموض يكتنفها بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٣٥م.

لورنس كان يعرف لدى أسرته باسم (نيد) وقد اختلف الباحثون والمؤرخون حول حقيقة دوره وسيرة حياته، وتراوح التعامل مع شخصيته من كونه عميلا وجاسوسا إلى مغامر وعسكري يريد أن يكون محترفا ، إلى باحث انثر بولوجي ولكن القاسم المشترك بين كل هذا انه شخص غريب الأطوار، وكانت حياته كباحث في الآثار والتنقيب إلى بدء حياته العسكرية في المكتب العربي في القاهرة ، ومن ثم مرافقته للبعثة العسكرية عام ١٩١٧م التي قدمت إلى منطقة الوجه على ساحل البحر الأحمر والتقائه لأول مرة بالأمير فيصل بن الحسين ومن ثم مرافقته بطلب منه لحملة احتلال العقبة التي انطلقت في منتصف أيار ١٩١٧م بقيادة الشريف ناصر بن علي والشيخ عودة أبو تايه ، لتبدأ من هنا قصة لورنس مع العرب.

كتب الكثير عن حياة لورنس ، وأنتجت الأفلام العديدة وأبرزها فلم لورنس العرب الذي تم تصوير معظمه في وادي رم عام ١٩٦٢ وهو من بطولة عمر الشريف الذي قام بدور فيصل وأنتوني كوين (Anthony Queen) الذي لعب دور عودة أبو تايه وبيتر أتول(Peter Atoll) الذي قام بدور لورنس وكان فلما عالميا عكس شخصية لورنس النرجسية وشغفه بالظهور الإعلامي ، وأعطى صورة قاتمة عن حقيقة الدور العربي وأخفى الكثير من المعلومات. وتم إنتاج مسلسل من ثلاثين حلقة عن لورنس في سوريا لكاتب عراقي كردي وكانت لي فرصة أن كنت مشرفا على السياق التاريخي للمسلسل أثناء التصوير في رمضان ٢٠٠٨م وتم إدخال العديد من التعديلات والتصويبات التي أعطت مصداقية إلى حد ما عن تاريخ الثورة العربية الكبرى ودور لورنس.

أما في مجال الدراسات والأبحاث فهي كثيرة ومتنوعة وبكل اللغات تقريبا ، وبين أيدينا قائمة من الكتب الانجليزية والعربية عن تاريخ لورنس إضافة لكتابيه :

الأول : أعمدة الحكمة السبعة الذي صدر في عام وفاة لورنس (١٩٣٥م) .

الثاني : Revolt In The Desert والذي صدر في عام ١٩٢٧م .

أما ما كتب عنه باللغة الانجليزية:

١. Lawrence , the story of his life by Edward Robinson , ١٩٣٥ .

٢. Lawrence of Arabia , a Biography Enquiry by Richard Aldington, ١٩٦٩.

٣. Lawrence of Arabia and his world by Richard Perceval Graves, ١٩٧٦.

٤. T.E. Lawrence by Desmond Stewart, ١٩٧٧.

٥. Backing into the Limelight ,A Biography of T.E.Lawrence by Michael Yardley, ١٩٨٥.

٦. Lawrence of Arabia ,the Concise of the Authorized Biography of T.E. Lawrence by Jeremy Wilson ١٩٩١.

وصدر كتاب لورنس وجهة نظر عربية باللغة اليابانية للمؤرخ المرحوم سليمان موسى .

أما ما كتب عنه باللغة العربية :

١. لورنس وجهة نظر عربية ، سليمان الموسى ، ١٩٦٢م.

٢. لورنس ، صبحي العمري ، ١٩٦٦.

٣. لورنس ملك العرب غير المتوج ، مايكل اشر ترجمة د. فاطمة نصر، ٢٠٠٠م.

٤. مختارات من رسائل لورنس ، ديفيد غارنت ترجمة د. عبدالمنعم الناصر ، ١٩٨٨م.

٥. الثورة العربية ، الكولونيل لورنس ، ترجمة شعبان بركات، ١٩٩٠م.

٦. لورنس قصة حياته وحقيقة موقعه من الثورة العربية ، قصة الزحف الشامل من مكة المكرمة إلى دمشق الشام د. عبدالمنعم مصطفى.

٧. لورنس العرب السيرة الذاتية ، جيرمي ولسون ، ترجمة محمد نجار، ٢٠٠٠م.

٨. لورنس والقضية العربية ،حسام علي محسن المدامغة ،٢٠٠٤.

٩. لورنس ملك الجواسيس ،هشام محمد ، ٢٠٠٨م.

وأشير هنا انه قبل دخول مؤرخنا إلى المستشفى بأسبوعين " ومن ثم وفاته رحمه الله في ٩ حزيران ٢٠٠٨ " ت زاره المؤرخ جيرمي ولسون الذي له كتاب لورنس باللغة الانجليزية ، وكان الكتاب لدى سليمان موسى وتصفح ولسون كتابه هذا وهاله أن وجد

الموسى وقد قرأ الكتاب مدونا ملاحظاته على هوامش الصفحات بدقة دلت على القراءة الفاحصة ، والكتاب ذاته قد تمت ترجمته إلى العربية .

وليست هذه القائمة هي النهائية فهناك العديد من الكتب التي تتناول قصة لورنس ضمن العناوين الداخلية في المذكرات والكتب التي تتناول تاريخ الثورة العربية الكبرى، ولكن نحن أمام هذه المجموعات نجد أنفسنا أمام وجهات نظر مختلفة تناولت لورنس، ونستطيع أن نحدد اتجاها معينا في منحى الدراسة حين نستنتج أن الدراسات الأجنبية عن لورنس تميل إلى إظهار لورنس كبطل وصانع للأحداث وحتى إن أبدى بعضها انتقادا لأداء لورنس، وهنا فقد تناول المرحوم سليمان الموسى عددا من هذه المؤلفات ، وأورد ملاحظاته في كتابه (لورنس وجهة نظر عربية وهو الكتاب الثالث له بعد (الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى وتاريخ الأردن في القرن العشرين) ومما جاء عنه في الصفحة ١١ وقد تناول مما جاء في كتاب الدنغتون وعلق :

(إن هذا الكتاب لا يكشف الحقيقة كلها لأنه يضع لورنس والعرب في كفة ميزان واحدة ، وعندما يحاول أن يحط من قيمة لورنس فانه لا يفرق بينه وبين القضية العربية فيحاول أن يحط كذلك من قيمة المجهود الحربي العربي ، ولو بحث الدنغتون عن الحقيقة المجردة لعرف أن لورنس احتال على العرب كما احتال على الانجليز ، واشترك في التدجيل عليهما كليهما كي يحيط نفسه بالشهرة الزائلة) .

وكانت هناك مساجلة في الكتابة عن لورنس بين الأديب الأردني محمد أديب العامري و سليمان الموسى، فقد كتب العامري مقالا يقول فيه : ونظرتي في الرجل (أي لورنس) انه بطل لا دجال وقد فتش عن الأخلاق التي تعجبه وترضيه فأقبل على الشرق فاختار منه بقعة ذات سابقة في الحضارة وذات شعر وخيال وسماحة خلقية فأحب العرب)

وهنا رد سليمان الموسى بمقال نشرته جريدة الدفاع الأردنية في عام ١٩٥٥ في أعداد مختلفة في ١٢ آب و٤ و١١ تشرين الثاني. :

(لم اقل أن لورنس كان صديق العرب بالمعنى الذي نفهمه نحن من الصداقة ، ولم يكن هو صديقهم بأي معنى آخر ، وإنما ذكرت انه آمن بالعرب كوسيلة لإجراء تجربة في الحضارة خيالية قامت في ذهنه. وليست معنى هذا انه كان عدوا لهم، وإنما هو رجل آمن بأنه يستطيع أن يركن إلى الأخلاق السمحة الابتدائية التي تزوده به أمة العرب ، ذات السابقة في الحضارة .ولقد كان بطلا ولا شك، ولكن لا تستوي البطولة مع العظمة التي تمتاز بالمعرفة والمبدأ والبطولة معا) .

واستعرض سليمان الموسى في مقالة له نشرها في مجلة الآداب اللبنانية عام ١٩٥٥ آراء المؤلفين في لورنس ومعظمها يشير إلى شكوكهم بصداقة لورنس للعرب، في الوقت الذي تابع كاتب لبناني اسمه الدكتور سهيل إدريس ترجمة لكتاب ريتشارد الدنغتون في الصحف الفرنسية والتي نشرت كتابه تحت عنوان (لورنس الكذاب) وهنا يقول د. إدريس معلقا: (لقد كنت تابعت ما أثاره كتاب الدنجتون من نقاش في الصحف الفرنسية بعد صدور ترجمته بعنوان (لورنس الكذاب) فأحسست بقصور شديد في صحفنا التي لم تتناول إحداها هذا الموضوع الخطير إلى أن وافى الأستاذ سليمان موسى (الآداب) ببحثه القيم الضافي الذي لا أتردد في تفضيله على بحث جديد في الموضوع ذاته كتبه (مانس سبيربر أخيرا) .

وسليمان الموسى يقول عن علاقته مع لورنس (كتاريخ) أنها علاقة قديمة غير طارئة، ولكنه قدم تاريخا عن الثورة العربية الكبرى وعن لورنس بما أثرى مكتبتنا الوطنية بمعلومات لم تتوفر من غيره بعد ، إذا ما استثنينا فقط مجموعة المذكرات الشخصية للرجال الذين قاتلوا أو كانوا من القادة السياسيين خلال حقبة الثورة العربية الكبرى وما تلاها.

كتاب لورنس وجهة نظر عربية لسليمان الموسى:

صدر هذا الكتاب في عام ١٩٦٢ م وهو يتألف من عشرة فصول ، ومن قراءة تحليلية للكتاب نرى انه يمضي في مسارين :

الأول: رصد لأحداث الثورة العربية الكبرى وتوضيح لعملياتها وانتصاراتها ودور القادة العرب في إدارة العمليات العسكرية والسياسية مما يؤكد كفاءة الجيش العربي وحنكة قادته من العسكريين والسياسيين.

الثاني: تناول لورنس كعسكري مشارك في الثورة العربية وتحليل لدوره الذي أوضح مدى التناقضات والمغالطات من خلال رصد تحركاته ومشاركاته المزعومة حينا والمبالغ فيها حينا آخر.

وأما ما يلفت النظر هي تلك المقدمة الرائعة التي كتبها الفريق (حابس المجالي) القائد العام للقوات المسلحة الأردنية حينها والتي استهلها بالقول:

(من دواعي سروري أن أقدم هذا الكتاب إلى القراء في بلاد العرب كافة ، لأنه يتناول زاوية مهمة من تاريخ العرب الحديث ويكشف النقاب عن بعض الأسرار المطوية ويعمل على تصحيح بعض الادعاءات الخاطئة)

ويأتي في المقدمة القول أيضا:

(وبالرغم من أن الكتاب يتتبع خطوات لورنس – إلا انه مع ذلك يتتبع خطوات الثورة العربية الكبرى خطوة بعد أخرى، ويتضمن معلومات غزيرة عن معاركها وأحداثها، كما يتضمن معلومات وافية عن التطورات السياسية للقضية العربية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. ومن هنا تبدو فائدته لكل مثقف عربي وخاصة للمهتمين بالشؤون التاريخية والسياسية والعسكرية)

صورة حابس المجالي

ومن خلال قراءة الفصول العشرة فإننا نلاحظ تناول سليمان موسى لشخصية لورنس في الفصول العشرة تحت العناوين الفرعية التالية:

ف١: نشأة لورنس ومن ثم كيف أصبح ضابطا للاستخبارات.

ف٢: طلب لورنس لإجازة بعد أن تم رفض طلبه أن يلتحق في المكتب العربي فبادر إلى افتعال المشاكل وتوجيه النقد لزملائه مما دفعهم إلى التخلص منه.

ف٣: العلاقة بين اللنبي ولورنس والتي يقول لورنس أنها بدأت مصادفة في محطة قطار الإسماعيلية حين كان فيها الجنرال اللنبي فتقدم لورنس وحادث النبي عن خطة غزو العقبة التي تمت ، ومن ثم طلبه اللنبي للمقابلة في القاهرة.

ف٤: أسطورة درعا ، القصة التي اختلقها لورنس عن محاولة الضابط التركي ناجي بك أن يعتدي عليه ووصفه لرفضه أن يمسه احد مما عرضه للتعذيب وكسر احد أضلعه : وهنا الغرابة أن شخصا ينكسر له عضو ويبقى يعمل ولا ينقطع ، والقصة بأكملها اغرب من الخيال. وقد تناولها سليمان موسى بالتحليل متسائلا انه الوقت الذي قضاه في الأزرق والى عودته من منيفة وتحركه إلى العقبة هو عشرة أيام؟ والسؤال : كيف أتيح له أن يشفى أولا من الجراح التي أصابته عند انفجار لغم فيه وكيف شفي من خمس رصاصات أصابت جسده في نفس الفترة وكيف شفي من كسر ضلعه؟؟

ف٥: رصد للعديد من المزاعم والتناقضات وكان لورنس يتصرف وكأنه صاحب الثورة وقد انتقد الأمير عبدالله الأول تصرفات لورنس / والأمير عبدالله هو من أطلق على لورنس لقب ملك العرب غير المتوج حين انتقد نفوذ لورنس بقوله :

(أطلقت له الحرية في جيش الملك فيصل، فأصبح بما بذل من مال وما قال من أقوال ملك العرب غير المتوج وانه صاحب الثورة ، وانه لولاه لما نال العرب أي شيء).

"صورة لورنس"

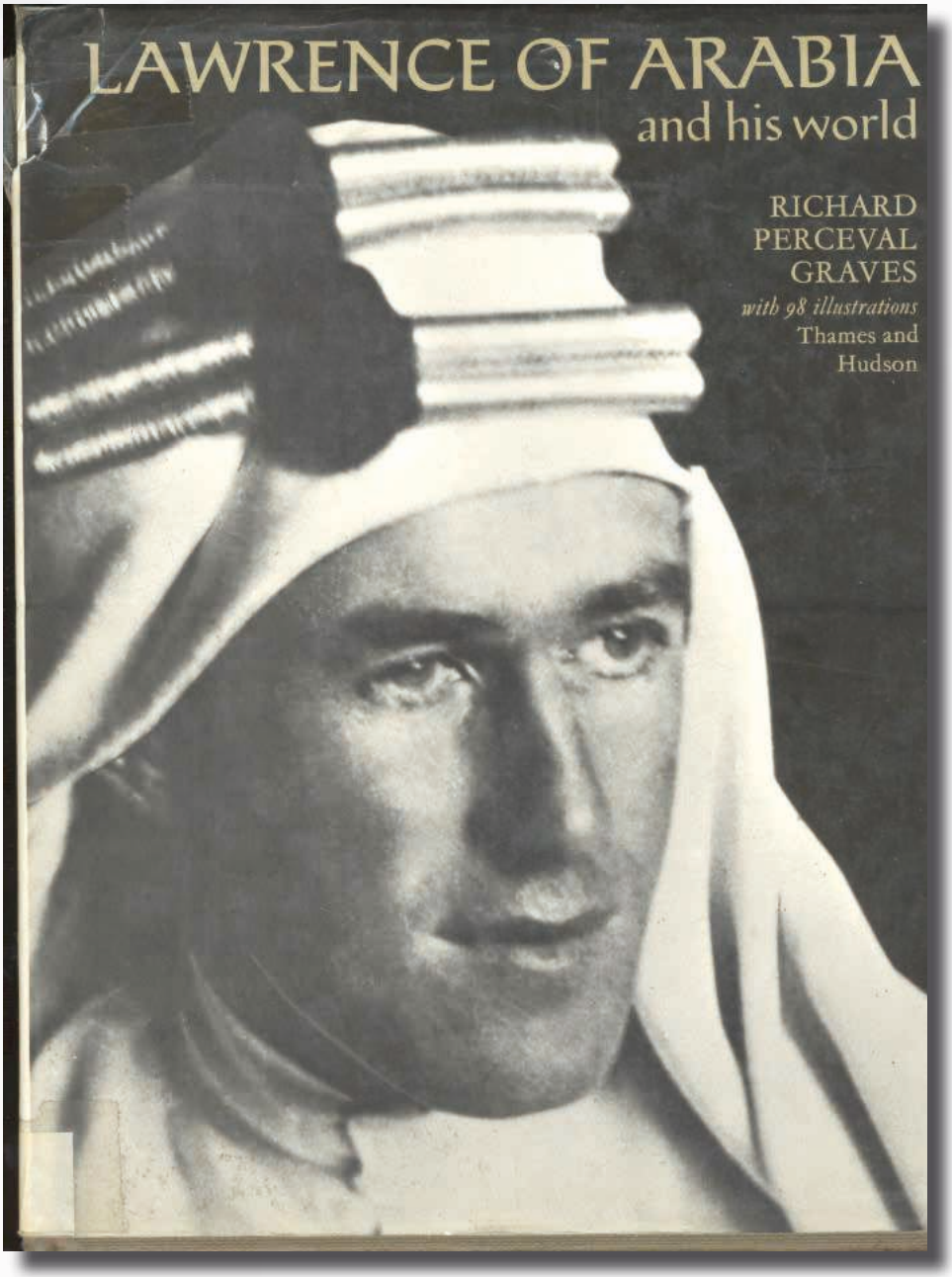
LAWRENCE OF ARABIA
and his world
RICHARD
PERCEVAL
GRAVES
with 98 illustrations
Thames and
Hudson

ف٦: والحديث هنا عن عودة لورنس من مصر متباهيا انه قد حقق مكاسب كثيرة من اجل دعم الجيش العربي إلى الطفيلة في ١٩ شباط ١٩١٨م ومن ثم عودته إلى العقبة في ٤ آذار وبعدها المشاركة في الهجوم على معان ، واختلاف وجهات النظر التي مؤداها أن العرب يريدون مهاجمة معان مباشرة ولورنس يقترح مهاجمة المحطات المحيطة أولا ، وعندما فشل الهجوم العربي قال أن الفشل بسبب أن العرب لم يتبعوا نصيحته، وهذا كلام غير دقيق ، وهنا فان سليمان موسى يقول : يسهل على المرء أن يظهر حكمته بعد وقوع الواقعة.

ف٧: تلقى لورنس في الأصل التدريب على استخدام المتفجرات على يد الضابط الانجليزي(غارلند) ، وهنا في الفصل السابع يذكر سليمان موسى أن لورنس يقول في كتابه أعمدة الحكمة السبعة أن غارلند وبعد أن نسف قطارا وعبارة في أوائل الثورة قد توفي ، (ص١١٤-١١٦) ولكن الميجر غارلند لا زال على قيد الحياة عندما استسلمت المدينة المنورة في نهاية الحرب .

ف٨: وفي هذا الفصل حديث عن مغادرة لورنس لدمشق وأيضا تناول نهايته وحديث بعنوان (لورنس صديق للعرب)

وكان هناك استغراب لمغادرة لورنس لدمشق بعد تحقيق نصر العرب بالدخول إليها،وتذرعه بالقول أن دخول دمشق قد كان الذروة ولكن الحقيقة هي أن الأمير فيصل بدأ يضيق ذرعا بلورنس .

وعن نهايته فقد ثبت أن لورنس قد هدد بالانتحار ذات مرة إذا لم ينقل إلى سلك الطيران ، وتدخل الكاتب برنارد شو في الأمر فأعيد إلى سلاح الطيران وكان يحمل اسم شو وقبل هذا الاسم حمل اسم روس . ومن ثم نقل إلى كراتشي للعمل هناك وساءه انه يخدم مع الهنود وانه يأسف أن أعضاء جسمه تشبه أعضاء الهنود. وانتهت خدمته في شباط ١٩٣٥م ، أما سيرة حياته العسكرية التي ملخصها انه وصل إلى رتبة كولونيل ولكنه عاد للخدمة كجندي في سلاح الطيران فيقال أن السبب هو رفضه واحتجاجه لان بريطانيا لم توف بعهودها للعرب ؟؟؟

ف٩: كيف حقق لورنس شهرته المدوية؟ هنا يتناول سليمان الموسى هذا الأمر مستشهدا بقول لبرنارد شو عنه : (لم تكن محاولاته لإخفاء نفسه تنطوي على عزم صادق. لقد كان ممثلا يفوق أذكى الشياطين في ادوار الكوميديا) وقد أبدع في صناعة الخيال واستثمر المصور الأمريكي لويل توماس عام ١٩١٧م لتصوير منجزاته وتنقل به في بلاد العرب

، وحتى انه وضع محاضرة بعنوان (اللنبي في فلسطين ولورنس في بلاد العرب) وهنا كأنه يوازي ويعادل بين نفسه والجنرال اللنبي. والواقع أن لويل توماس الأمريكي هو الذي صنع أسطورة لورنس خاصة حين أقام معرضا له استمر ستة أشهر في أمريكا ، وتحت إحدى الصور ظهر لورنس مع مجموعة من الضباط الانجليز تقول: أن هؤلاء الضباط ساعدوا لورنس ولكنهم لم يشاركوا في إهمال الميدان ، وكان الجنرال يونغ حاضرا وهو من ضباط الحرب في ميدان الأردن وقال للورنس : اعتقد انك لن تسمح بهذا؟ ويقول يونغ (أن لورنس وعد أن يعمل على تصحيح العبارة ولكنني شهدت العرض مرة أخرى فاكتشفت انه لم يفعل) ولعل هذه قد حدثت تماما أيضا مع القائد صبحي العمري في معركة الطفيلة حين شاهد بعد سنوات صورة للضباط العرب ومعهم لورنس في ميدان معركة الطفيلة بعد تحقيق النصر على القوات التركية وتحتها مكتوب: لورنس والذي أحرز بقيادته النصر في معركة الطفيلة يقف بين ضباطه الذين كانوا معه)

من جهة أخرى سلط سليمان الموسى الضوء على ما جاء في أعمدة الحكمة السبعة من إساءات بحق العرب من مثل وصفه للعرب : هم شعب محدود النظر تبقى أذهانهم الجامدة كالأرض البور في استسلام بعيد عن حب الاستطلاع وليس لهم أي نظم فكرية ولم يبتكروا أية طرق فلسفية ، وحمل الكتاب وصفا للعرب بطريقة مسيئة .

وكشف سليمان موسى عن تعاطف لورنس مع اليهود ويذكر احد أقطاب الصهيونية واسمه(لويس نامير) أن لورنس حدثه عن مؤتمر القاهرة قائلا: أن العزم عقد في لندن على دمج شرق الأردن وفلسطين وفتح القطرين أمام الهجرة اليهودية ولكن مجيء الأمير عبدالله إلى شرق الأردن وهو ينوي مهاجمة الفرنسيين افسد علينا الخطة.

ف١٠: تحدثنا عن ميول لورنس الصهيونية ، وأيضا اورد كتاب أعمدة الحكمة السبعة الكثير من الروايات المتناقضة ، وهنا يشير سليمان موسى إلى مؤلف آخر للورنس وهو ثورة في الصحراء وكيف أن لورنس اغفل العديد من الروايات التي وردت في أعمدة الحكمة السبعة ولم يضمنها لكتابه الأخير بدليل أن هذه الروايات هي محض اختلاق . ويرصد الموسى هذه الروايات ويتساءل أيضا لماذا أصر لورنس على حجب كتابه أعمدة الحكمة السبعة عن جمهور القراء وامتنع عن نشره في حياته؟ ولماذا تعاون مع لويل توماس وروبرت غريفز في كتاب عن حياته وطلب أن يعلنا انه ليس المصدر لهذه المعلومات؟؟

وأخيرا:

أن الحديث هنا عن تاريخ لورنس ، ولم نذكر ما جاء في العديد من المؤلفات عن تاريخه ، ولكن ما أقوله هنا أن إسهام المؤرخين أمثال المرحوم سليمان الموسى في توثيق أحداث الثورة العربية الكبرى هو جهد نقف عنده بكل إجلال واحترام وتقدير ، وتناوله لموضوع لورنس بكل موضوعية ودقة قد شكل إضافة نوعية للتاريخ ومثل رسالة عربية واضحة تسهم في تقديم الصورة العربية الصحيحة التي ناله التشويش من مؤرخي الغرب وأيضا حتى من بعض العرب، ولعلي اقتبس من مقدمة الكتاب التي كتبها الفريق(آنذاك) حابس المجالي قوله عن سليمان الموسى يرحمه الله

(فالمؤلف يفي موضوعه دراسة في صبر وتجرد بحثا عن الحقيقة الخالصة . وهو في كتابه يرمي إلى الدفاع عن قضية قومه والى الرد على الافتراءات التي تحط من شأن جهودهم ، ولكنه في ذلك يبتعد مزايا الإخلاص والصدق والإنصاف ، وهي المزايا التي يجدر بكل كاتب أن يتحلى بها ، ويضيف بالقول : وأخيرا فإنني أرحب بهذا السفر النفيس في مكتبتنا العربية واثني على جهود كاتبنا الأردني وأرجو له التوفيق) وقد دعا حابس باشا المجالي بأن تتم ترجمة كتاب لورنس وجهة نظر عربية إلى الانجليزية.

" المشير حابس المجالي "

الحسين بن علي
الشريف الحسين بن علي
شهيد الوفاء للقدس والاقصى

بعد أكثر من ثمانية عقود على رحيل قائد نهضة امة العرب الشريف الحسين بن علي طيب الله ثراه ، لا زالت ذكراه تتحدث عن نموذج الموقف العربي الصحيح والثابت الذي لا يقبل التنازل أو المهادنة في مسألة الحقوق العربية. فقد أرسى أسس الدولة العربية المستقلة في آسيا العربية ،وأثبتت وثائق المراسلات مع نائب جلالة ملك بريطانيا في مصر السر مكماهون حرصه على حدود الدولة العربية بلا أية استثناءات ، ولكن عاش الحسين بن علي حياة امتلأت بالمواقف الحرجة والصعبة .

الشريف الحسين بن علي أمير مكة وملك العرب وخليفة المسلمين

منذ مطلع القرن التاسع عشر أخذ العالم يشهد حركات قومية مختلفة تستهدف الإستقلال والحكم الذاتي وتستهدف إبراز الهوية الوطنية وبأبعادها الإقليمية وجذورها وربط ذلك بالأرض. وقد استمرت هذه الحركات وأخذت تتبلور بشكل واضح في مطلع القرن العشرين حيث اتسمت هذه الحركات بطابع العنف وأصبحت الأداة العسكرية أداة رئيسية لتنفيذ الأماني وتحقيق المطالب القومية. من هنا بدأت الحروب تتسع وتشمل مسارح مختلفة، فبدلاً من كونها أسرا اقطاعية أو ممالك محدودة أصبحت الآن – في مطلع القرن العشرين- تتأثر بحكم المصالح المشتركة التي أفرزت تحالفات متعددة خاضت حروباً ضد قوى كانت مصدر رياح التفكير بالقومية والانتصار للتاريخ الأصيل لدى العديد من الشعوب الأخرى. وكانت منطقة البلقان هي الأخطر لاختلاط عوامل القومية والدين والعرق، وبسبب الارث الذي خلفه الحكم العثماني في هذه المنطقة مما جعلها تخوض في حروب ضروس أسفرت عن هزيمة للعثمانيين وخروجهم من البلقان، وهم أشد اهتماماً وانتباهاً وحرصاً على أن لا تتكرر مأساة البلقان في الممالك العثمانية الأخرى, وخاصة الحجاز وبلاد الشام التي بدأت تتنامى فيها مشاعر القومية والرغبة في السيادة والإستقلال.

إن هذه المقدمة البسيطة للدخول في موضوعنا الرئيسي انما تتضمن أكثر من قضية تستوجب النقاش والبحث فيها، لكن ما نريد البحث فيه هنا في غمرة الحديث عن النهضة العربية واطلالتها نتحدث عن شخص "الحسين بن علي" الشريف الأمير الملك الخليفة الذي كان حقاً هبة القومية العربية، وراعي نهضة كرس جهده وحياته وخسر ملكه وهو

يردد دائماً:

"إن هذه النهضة عربية تشمل كل عربي كائناً من كان على شرط أن يكون صادقاً لوطنه مخلصاً لقومه..".

القيادة العربية

البحث في القيادة العربية في مطلع هذا القرن هو البحث في صورة الاستقلال والسيادة العربية بل صورة الحياة العربية خاصة اذا خضنا قليلاً في تاريخية هذه القيادة التي تفرض علينا ان نطرح على أنفسنا سؤال واحد هو: متى قاد العرب أنفسهم بأنفسهم منذ عهد العباسيين وحتى مطلع القرن العشرين؟؟؟ ولا أقول العهد العباسي برمته بل أشير هنا الى أن الخلافة العباسية شهدت شكلين من أشكال القيادة:

- القيادة العربية الفاعلة الواقعية العربية وهنا كان القرار عربياً.
- القيادة الشكلية منذ عهد الخليفة المعتصم حيث أصبح الخليفة ينصَب أو يخلع على نحو

لا يؤسف عليه، وهنا كان القرار أعجمياً فارسياً أو غير ذلك.
وبعد الخلافة العباسية كانت قيادة المماليك وهؤلاء وأيضاً ليسوا عرباً، وقد حكموا المنطقة من عام ١٢٦٠م وحتى عام ١٥١٦م ثم حلَ محلهم العثمانيون، وهم ليسوا عرباً، وحكموا منطقتنا من عام ١٥١٦- ١٩١٦م.
ويعني ذلك أن العرب كانوا مغيبين عن الحكم والخلافة والقيادة لأكثر من ستة قرون. وكان الدور العربي تابعاً مقوداً غير فاعل ولا مؤثر،وهذا يعني أيضاً غياب العرب عن الساحة الدولية ووضعهم خلف الكواليس، مما أتاح للتيارات الخارجية أن تصور العرب بالصورة التي يريدونها.
لقد استفاد "الحلفاء" خلال الحرب العالمية الأولى من هذا الوضع وأخذوا يلوحون بأجزاء من جزيرة العرب مقابل عصا يسلطونها على الأتراك خدمة لمصالحهم بالدرجة الأولى. ومن جهة أخرى كان الإنطباع السائد عندهم – أي الحلفاء – أن العرب لا يصلحون لقيادة أنفسهم، وأنهم قوم رعاع عاشوا الحياة القبلية التي لا تعرف هوية أو وطن أو شكل حدود أو نمط دولة، ولا ندري ان كان هذا يخفي في طياته انتقام أو تسديد حساب لتراكمات تاريخية قديمة.
وإزاء هذا الوضع المتشابك، وفي ظل هذه الظروف أخذ العرب ينتبهون لأنفسهم في الوقت الذي أخذ الأتراك أنفسهم قبل غيرهم يخشون من صحوة الزعامة العربية بعد أن كانو يشترون الزعماء وينصبونهم في بعض البقاع، وقد كانوا أكثر خشية من الحجاز وما يجري فيها ،فهي قبلة المسلمين ومأوى أفئدتهم ومكانتها بين العرب ذات تميز، خاصة لوجود آل هاشم ذوي التاريخ الناصع على مر التاريخ ذاته. فقريش صاحبة السيادة، والأشراف من ذوي زيد وعون وتبادلوا القيادة والإمارة وإن خرجت من ايديهما حيناً في فترات تاريخية معينة،
وقد احتفظ آل هاشم بسلطانهم وصلاحياتهم وإن أتبعوا اسمياً للخلافة العباسية في بغداد، وعندما استخلف المماليك قيادة الأمة العربية، وبسطوا نفوذهم احتفظوا بالخلافة العباسية اسمياً ونقلوا الخليفة الى القاهرة وبقي الحال في الحجاز على ما عليه. وبعد سيطرة العثمانيين على بلاد الشام والعراق ومصر في الأعوام من ١٥١٤ – ١٥١٧ أخذ السلطان سليم الأول (١٤٦٧ – ١٥٢١) يجري اتصالاته مع شريف مكة بركات بن محمد وهو من فرع آل عون يدعوه للاعتراف بالخليفة العثماني والدعاء له في الكعبة مقابل الاعتراف بإمارته، وقد كانت دعوة السلطان سليم مبطنة بتهديد، مما دفع الشريف بركات للاستجابة لطلبه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن السلطان سليم الأول قد تسمَى باسم خليفة المسلمين لكن لا توجد اشارة للكيفية التي انتقلت بها الخلافة من ديار العرب الى ديار الترك. وهناك ما يشير ويدل الى أن الخليفة العباسي الذي كان يعيش في كنف المماليك وهو "محمد المتوكل عبدالله" قد تنازل عن الخلافة للسلطان سليم الذي بعد أن أصبح بيت المقدس ومكة والمدينة المنورة تحت سلطانه، وأضيف لدعاء السلطان في المساجد عبارة "خادم الحرميين الشريفين".

الإمارة في الحجاز / الحسين بن علي أميراً

كانت السيادة والشرافة والإمارة عندما خضعت معظم البلاد العربية بما فيها الحجاز للسلطان العثماني لآل عون. وقد أخذت الإمارة تنتقل وراثياً وبإقرار واعتراف من السلطان لكن بدأت تظهر بعض بوادر الخلاف والضعف بين الأشراف أنفسهم، مما هيأ الفرصة للسلطان العثماني للسيطرة المباشرة على مواقع عربية حجازية، وأثر ذلك في التقليل من سلطان أمير الحجاز وتقوية الجهاز الوظيفي التركي وتعزيز نفوذه. وظهر هذا الوضع بصورته الجلية مع نهاية القرن الثامن عشر بعد ظهور قوى أخرى داخل الجزيرة العربية، فخشي السلطان العثماني هذا النفوذ فاستنجد بوالي مصر " محمد علي" الذي جرد الحملتين في عامي ١٨١١و ١٨١٦ واستتب أمر الإمارة للشريف محمد بن عون (عام ١٨٢٧) الذي اشتد نفوذه، مما اثار حفيظة الأتراك فنفوه الى استانبول هو وأسرته حيث رزق ابنه "حسين" الذي عاد الى الحجاز وأخذ ينتقد ادارة عمه للبلاد، لسوء ادارته مما دفع الأتراك لنفيه وابعاده الى استانبول عام ١٨٩٣ وقد استقبل هناك بحفاوة بالغة، وتذرع الترك انهم انما يريدون تنشئة

، ولكنه استغل هذا النفي الذي امتد لستة عشر عاماً في تنشئة أولاده "علي وعبدالله وفيصل".

ومن أهم الأحداث ذات التأثير على الحجاز في تلك الفترة كان اعلان الدستور العثماني الذي تباينت ردود الفعل ازاءه. واتخذ أمير مكة حينها موقفاً غير واضح منه، وحاول استبعاد هذا الدستور مما دفع بالادارة التركية لخلعه وتعيين "الشريف عبدالإله" مكانه عام ١٩٠٨ لكنه وبسبب تقدمه في السن وضعفه توفي قبل أن يغادر استانبول حيث كان يقيم، وبدأ الأتراك فوراً مساعيهم لتنصيب الشريف "علي حيدر" وهو من آل زيد، وهنا تحرك الأمير عبد الله بن الحسين في استانبول للسعي لإمارة مكة لوالده باعتبار ذلك حقاً شرعياً فأقنع والده أولاً.. وبعث بمذكرة الى الصدر الأعظم الذي أجاب طلب الأمير عبدالله وأجابه: "أقبل أنامل والدك وأطلب إليك أن تبلغه بأن حقه لا يضيع، إن شاء الله..".

واتبع ذلك ببرقية الى السلطان عبد الحميد هذا نصها: "نظراً لشغور مقام الإمارة الجليلة بمكة المكرمة ولكوني صاحب الحق، فإنني أنتظر من الأعطاف السنية السلطانية عدم حرماني حقي وتعييني في مقام أبائي".

وجاء الرد بالموافقة على أن يقابل الشريف الحسين بن علي السلطان عبد الحميد الذي عينه أميراً على مكة، وعزز ذلك بأمر سلطاني بتعيينه أيضاً بمرتبة وزير.

المغادرة لاستلام إمارة مكة

لقد أفردت هذا العنوان لأهميته، ولأنه يلخص أحداثاً سابقة، ويلقي الضوء على أحداث مستقبلية. فقبل أن يغادر الشريف الحسين بن علي استانبول اجتمع مع السلطان عبد الحميد الذي تحدث اليه قائلاً: "أسأل الله أن يجازي من حال بيني وبين الإستعانة من مواهبك الهاشمية وأنني لست بالأمين على الدولة والملك من هذه الفئة المتغلبة.".

وهنا كانت اجابة الشريف الحسين بن علي التالية: "إن لذاتكم الملوكية في البلاد العربية الفئة التي اذا تحيزتم لها كان لكم ما تريدون من حفظ الدولة والملك ومتى شعرتم جلالتكم بذلك، فأول بلد من بلدان العرب يقوم بالواجب المفروض هو الحجاز، وأن النبي صلّى الله عليه وسلم قال (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) ولو فعلتم جلالتكم ذلك جلبتم آل بيتكم معكم، لجبيت لكم الأموال ولأخضعت رقاب العصاة لأنكم تكونون حين ذاك فوق متناول أيديهم".

وقد تأثر السلطان عبد الحميد بهذا الموقف وقلد الشريف الحسين بن علي وسام الافتخار المرصع.

وموقف آخر على درجة كبيرة من الأهمية وهي لحظة مغادرة "الحسين" حين خاطبه الصدر الأعظم بكلمات هي بحق أشبه ما تكون بكتاب تكليف يوضح الخطوط العريضة ويثبت حقوقاً معينة حيث قال :- "إن الخطة المباركة الحجازية مربوطة رأساً بمقام الخلافة العظمى، وأنه لا يسري عليها بمناسبة الدستور الجديد ما يخالف الحقوق المقدسة القائمة بين الامارة الشريفة والسدة السلطانية. وان اعتماد الحضرة الملوكية والباب العالي على ذاكرتكم الهاشمية مما لا يحتاج الى تأكيد، فقوموا بواجباتكم السامية على أساس التعامل القديم، وفقكم الله للخير.".

أوضح هذا التصريح المدى الكبير في دعم امارة الشريف واستقلاليته، وهذا يخالف جماعة الاتحاديين الذين يسعون الى تقويض الولايات العربية تمهيداً لاستيعابها في المشروع الطوراني الذي كانوا يخططون له،و تمهيداً لاعلان دولة تركيا المعاصرة الواسعة التي تشمل كل الولايات التركية، والتي ستصبح تركية وان كانت عربية أو غيره.

وقد وصل الحسين بن علي الى جدة في الأسبوع الأول من شهر ذي القعدة١٣٢٨هـ.

١٩٠٨/م واكتسب لقب "الأمير".

" صورة تنصيب الشريف الحسين اميرا على مكة "

أهمية الإمارة

شكلت عملية وصول الحسين بن علي الى سدة الامارة نقلة ذات أبعاد مهمة على تاريخ المنطقة العربية في الحجاز بالذات. لقد كانت امارة "مكة" وأرض الحجاز هي ميدان العمل الفكري والسياسي لمراحل النهضة الفكرية العربية التي بدأت تتكون وتتفاعل في استانبول ودمشق وغيرها.

كانت امارة الشريف الأمير الحسين بن علي القاعدة الدستورية التي أضفت على العمل العربي الشرعية للاستمرار في الجهد من أجل تحقيق الأمالي والأماني العربية." من هنا بدأت الإجراءات التركية للحد من النفوذ الهاشمي ومن السلطة الاماراتية، ففصلوا المدينة عن الحجاز وعن مكة، وبدأت الغزوات والاشتباكات هنا وهناك لتشتيت الجهد واضعاف النفوذ العربي والهاشمي. ولا يمكن أن يتسع المجال للحديث هنا عن الامارة وشؤونها، ولكن هناك مراجع تحدثت عن ذلك بالتفصيل من مثل مذكرات الملك عبدالله بن الحسين، وأسرار الثورة العربية الكبرى لأمين سعيد، وجيل الفداء لقدري قلعجي، وما سمعت وما رأيت لخير الدين الزركلي، وملوك العرب لأمين الريحاني.

صورة :" كتب : أسرار الثورة العربية الكبرى لأمين سعيد، وجيل الفداء لقدري قلعجي،

وما سمعت وما رأيت لخير الدين الزركلي، وملوك العرب لأمين الريحاني."

الحسين ملك العرب

لم يكن اعلان الثورة العربية الكبرى الا سعياً وراء انشاء الدولة العربية المستقلة، ولذلك ومع اعلان الثورة بدأ العمل بمؤسسات الدولة الدستورية ،فكان اهتمام الحسين بن علي بانشاء دائرة الشرطة وتشكيل مجلس الشوري وتشكيل وزارة متكاملة، ولا بد من الإشارة الى أن تشكيل الوزارة (مجلس الوكلاء) وتشكيل مجلس الشيوخ الذي تألف من ١٣ عضواً قد سبق اعلان بيعة الملك "بيوم واحد" وذلك كخطوة في سبيل استكمال مؤسسات الدولة".

لقد كان تعيين "الحسين" أميراً على "مكة" هو البداية للتطور والتوسع في نمط وشكل الحكم والدولة، وعروبة الثورة وشموليتها وكونها ثورة عربية فهي ليست هاشمية أو مكيَة أو حجازية، بل هي للعرب جميعاً اضافة لما اخذ يتردد لدى دوائر الحلفاء بأن العرب لا يمكن أن تكون لهم قيادة وهم غير أهل لأي شكل قيادي، فهم قوم رعاع، يصلحون لتنفيذ مهمات معينة دون ان يكون لهم نصيب. هذه العوامل هي التي دفعت "الأمير عبدالله بن الحسين"ان ينتقل بوالده من مرحلة "الامارة" ذات الحدود المؤدية الى "الملكية" وملوكية العرب لتتشكل المؤسسة الدستورية التي تفرض مطالبها وتطالب بحقوقها باسم العرب جميعاً.

وأشارت بعض المصادر أن الطلب كان يتجه نحو اعلان الخلافة الاسلامية، لكن الرأي باعلان الملكية ومبايعة الشريف الحسين بن علي ملكاً، لأن في موضوع اعلان الخلافة ما يثير مشاكل داخلية.

لقد قرأت سيناريو البيعة وتكاد كل المصادر تتطابق في ذلك واورد منها تفصيل اجراء البيعة كما اورده امين سعيد في كتابه اسرار الثورة العربية الكبرى.

لقد شهد يوم الخميس ١٩١٦/١١/٤ الموافق ٦ محرم ١٣٣٥هـ البيعة في مدرسة النجاح في داخل الحرم الشريف، وقرأت في مرجع أن التاريخ هو ١٩١٦/١١/١٤.

وقد تولى الشيخ كامل القصاب أمر الدعوة للبيعة وكان الشيخ عبدالله سراج قاضي القضاه هو اول المبايعين للحسين ملكاً على العرب والذي سلم جلالته كتاب البيعة الذي جاء فيه:

" وإننا نحن العرب نبايع جلالة سيدنا وكولانا الحسين بن علي ملكا يعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونقسم له على الانقياد في السر والعلانية ، كما أننا نعتبره مرجعا دينيا لنا ، أجمعنا عليه ريثما يقر قرار العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه بشأن الخلافة الاسلامية . نبايعك على هذا يا صاحب الجلالة، ونقسم لك بالله العظيم على طاعتك والرضى بك والانقياد اليك في السر والعلانية، ولك علينا في ذلك عهد الله وميثاقه

ما أقمت الدين واجتهدت في ما فيه صلاح العرب والمسلمين ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد الله عليه فسيؤتيه أجراً عظيماً."

وتجدر الإشارة الى أن الشريف الحسين بن علي قد رفض في بادىء الأمر هذه البيعة حيث قال مخاطباً ابنه عبدالله "أنا أعمل للملك ولا أقبل هذا الأمر الذي تعرضونه عليَ" فأجابه الأمير عبدالله : "هذه العريضة مقدمة من عظماء الحجاز ومن حضر من سائر بلاد العرب وهم يلتمسون قبول عرضهم" وقد أجاب الحسين بن علي العرض بعد أن قابل رجالات الحجاز والشام والعراق، وهنا ارتجل جلالته الكلمة التالية:

"إني اقسم بالله العظيم أنني لم أرد هذا الأمر الذي تكلفونني به، ولم يخطر على بالي عندما قمت معكم بنهضتنا السعيدة، ولكنني رأيت كما رأيتم اننا امام خطر عظيم وخطب جسيم ربما قضى علينا القضاء المبرم اذا لم نبادر الى ازالته، انكم حملتموني امراً انا اعرف الناس بما يستلزمه من الجهد، وطالما قلت اني واحد من جمهور الامة ابر ما يبرون من حق وأرفض ما يرفضون من باطل، وأمد يدي لكل من يتفقون على اسناد أمرهم اليه على كتاب الله وسنة رسوله، وإذا كان لا مناص مما اردتموه فاني اشترط عليكم ان تعينوني على أنفسكم وتساعدوني بآرائكم واعمالكم في كل ما يحقق امالنا وآمالكم من الخدمة العامة للعرب والمسلمين".

والذين يريدون تفصيلاً عن البيعة فيمكنهم قراءة تفاصيلها في جريدة القبلة في العدد ٢٢ والمحفوظة لدى المكتبة العامة في الجامعة الأردنية، وأرجو ان أورد ملاحظة حول تاريخ البيعة فقد أورت المصادر أكثر من تاريخ هجري وميلادي، ولا أجد تعليلاً للاختلاف الا بخطأ حساب التاريخ الهجري والميلادي، ويبدو أن توثيق الحدث كان بالتاريخ الهجري، ومن هنا جاء الاختلاف للتاريخ الميلادي، وأرجح ان البيعة قد تمت في "ثاني محرم ١٣٣٥هـ" وهذا ما ورد في جريدة القبلة ولم يقابله تاريخ ميلادي من هنا جاء الاختلاف حيث ظهر تاريخ ١٩١٦/١١/٤ و ١٩١٦/١١/١٤ و ١٩١٦/١٠/٢٨م اضافة لأكثر من تاريخ هجري ١/محرم/١٣٣٥م و ٢/محرم/١٣٣٥ و ٦/محرم/١٣٣٥هـ .

ولكن الذي يهمنا في هذا الحدث الذي هو بحق كتاب تكليف من العرب للحسين بن علي ليضطلع بدور الملك العربي ليسد فراغاً دستورياً اقتضته ظروف المنطقة والعالم حينها الذي يجب ان يجابه بعلمية ومنطق وعقلانية من خلال مؤسسة الدولة التي تظهرها بصورة الدولة ذات السيادة والاعتبار وتعكس شكلها التنظيمي وهيكلتها السليمة.. من هنا كان رد الحسين بن علي عندما قال "لكنني رأيت كما رأيتم أننا امام خطر عظيم وخطب جسيم ربما قضى علينا القضاء المبرم اذا لم نبادرالى ازالته.."

فقد عبر بهذا الرد التنظيم الداخلي للعرب ليطالبوا بحقوقهم واستقلالهم وسيادتهم من خلال مؤسسة الدولة، وليس من خلال جماعات وأفراد.

لقد كانت الامارة الخطوة الأولى في طريق إرساء قواعد الاستقلال وكانت الملكية خطوة متقدمة في تشكيل جهاز الاستقلال والسيادة، وكان المغفور له عبد الله بن الحسين بحق مهندس الفكر العربي والمخطط والداعي لتبديل الأوضاع العربية لتأخذ مكانها الصحيح بين أمم الأرض التي كانت تتجه في كل مكان بحثاً عن الهوية والاستقلال حينها. وهنا ننتقل الى الخطوة المتقدمة خطوة الخلافة الاسلامية.

ولا بد من الاشارة الى أن الحسين بن علي كملك للعرب قد فرض وضعاً جديداً على الساحة الدولية، واعترفت روسيا بدون تحفظ بالحسين بن علي كملك للعرب، لكن بريطانيا وفرنسا اتخذتا موقفا اتسم بالمماطلة والتسويف، فقد تحدث "بريموند" الفرنسي في كتاب له عن الحجاز أن حكومة الهند البريطانية وقفت ضد حكومة ومملكة الحسين بن علي وقد أورد ما نصه "اننا نأمل ان يموت هذا الخبيث الممسوخ (المملكة العربية في مهده.) ولكن الإعتراف البريطاني والفرنسي جاء بعد فترة، وفي مذكرة مؤرخة في ٣ كانون الثاني ١٩١٧ ونشرت الصحف المصرية الاعتراف كما يلي: "اعترفت الحكومة البريطانية وحكومة فرنسا رسمياً بشريف مكة ملكا على الحجاز".

والملاحظ ان هذا الاعتراف منقوصاً لأن الحسين بويع كملك للعرب وليس للحجاز، وهنا يتضح القصد البريطاني والفرنسي لتحجيم دور الحسين بن علي وجعله ينحصر في الحجاز فقط، وقد أصرت فرنسا وبريطانيا على موقفيهما بعدم الاعتراف واستمر ذلك الى ما بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وحتى مؤتمر الصلح ١٩١٩، فقد وقفت فرنسا وبريطانيا ضد ان يتحدث أو يمثل "فيصل" العرب، بل طلبتنا أن يكون ممثلاً للحجاز فقط.

"ضريح الشريف الحسين بن علي في المسجد الاقصى /القدس"

الحسين بن علي / خليفة المسلمين

الخلافة في الاسلام هي مؤسسة الدولة، والخليفة هو القائد العسكري والديني والسياسي للدولة. وقد تحدث الفقهاء في شروط الخلافة وأحكامها ولكن يهمنا أن نعلم ونعرف أن الخلافة ما برحت الأرض العربية على مدى عشرة قرون هجرية حتى كان انتقالها للسلطان سليم الأول عام ١٥١٦م (٩٢٢هـ). والسلطان سليم كان معروفاً عنه حبه لأهل الحجاز وتقديره للشريف ابي نمي، وقد ورد تفصيل ذلك في كتاب "أمراء البلد الحرام" لواضعه أحمد زيني دحلان.

ولكن لا يوجد ما يدلل على انتقال الخلافة الاسلامية الى السلطان سليم الأول، وهنا اقتبس مما ورد في كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية لواضعه "محمد عزت دروزة":

"... ولما غزا السلطان سليم العثماني بلاد العرب واستولى على مصر بعد هزيمته لجيش الملك قانصوه الغوري في سهل حلب، أخذ الخليفة الذي كان اسمه المتوكل على الله محمد بن المستملك بالله والذي كان الرابع عشر في السلسلة معه الى الاستانة، وانقطع بعد ذلك ذكر الخلافة العباسية الصورية".

" لقد أجبر السلطان سليم هذا الخليفة على التنازل له ومبايعته بالخلافة وتسليمه ما كان عنده من آثار توصف بالآثار النبوية مثل البردة والعصا والشعرات والراية النبوية".

وعند التدقيق في المراجع المختلفة، فاننا لا نجد ما يشير الى التنازل او الانتقال للخلافة ولا دليل على أن الآثار النبوية هي فعلاً نبوية فقد ترك العباسيون بغداد هرباً من بطش المغول، ولا دلائل تشير الى فطنة أحد لمثل هذه الآثار في ظل تلك الظروف، وحتى لا توجد اشارات الاحتفاظ العباسيين بها أصلاً ولا يوجد دليل أو قرينة حتى على ان السلطان سليم قد تلقب بلقب الخليفة ولكن تثبت المراجع أن لقب "الخليفة"و "أمير المؤمنين" قد استخدمتا ما بعد خلافة سليمان القانوني ابن السلطان سليم الأول..

لقد كانت العلاقة بين اشراف الحجاز والخلافة العثمانية علاقة احترام متبادل، الإعتراف بالدور الهاشمي في الأراضي المقدسة وكان خطباء المساجد يدعون للخليفة في استانبول في خطب الجمع من فوق المنابر، بل اسند أشراف الحجاز ودعموا دور الخليفة بل قاتل الهاشميون انتصاراً لمركز الخلافة العثماني. وقد كان الشريف الحسين بن علي من أشد أشراف الحجاز تأييدا وانتصارا لمركز الخليفة في الاستانة..

ونتيجة لاشتداد الاتجاه الطوراني في الدولة العثمانية والذي أصبح واضحاً في اتجاهاته العلمانية وتشدده ازاء ضرورة ان تكون كل الممالك والامصار التركية تركية لغة وثقافة،

ونتيجة للاضطرابات القومية وسعي الشعوب والقوميات للعودة لجذورها في اطار دول تنشؤها وفقا لاختيارها ورغباتها، ونتيجة لوصول الاتحاديين للساحة الفعلية في قمة الدول التركية ونظرا لصدور قرارات ومراسيم تفصل سلطة الخليفة عن السلطة الادارية والقانونية وحصرها بالدينية، نتيجة لهذه العوامل وغيرها بدأ التفكير جدياً في جزيرة العرب بأمر الخلافة التي حرص الشريف الحسين على أن لا يقبل بها مطلقاً طالما أن هناك خليفة للمسلمين يوجد في الاستانه، لكن الظروف أخذت تتبدل وهنا اقتبس مما اورده امين سعيد في كتابه أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف الحسين بن علي في الصفحات من ٣٦٠-٣٧٥ : " في يوم ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢ أصدر المجلس الوطني الكبيرلحكومة أنقرة قراراً فصل فيه بين الخلافة والسلطنة، فجرد السلطان من رئاسة الدولة وأضافها الى رئيس مجلس الأمة الوطني. اما الخلافة فأودعها ولي عهد السلطنة العثمانية يوسف عز الدين، بعدها نادي به خليفة للمسلمين وجعل مقره في الأستانة مجرداً من كل نفوذ".

"واهتز العالم الاسلامي لهذا القرار الخطير يصدره ترك انقره وانقسم المسلمون بين مؤيد ومنتقد وكانت حجة أنقرة في أن الترك لم يستفيدوا شيئاً من الخلافة وانها كانت عبئاً ثقيلاً عليهم وسبيلاً لاغراء الدول الأجنبية بهم".

وبالرجوع الى احداث اعلانات الامارة وبيعة الملوك فاننا نجد دور عبد الله بن الحسين بارزاً من خلال حرصه على مصلحة الأمة وتحقيق أمانيها".

وهنا بدأ الأمير عبد الله بن الحسين بالتحرك لإعادة الخلافة لديار العرب ولوالده بالذات.

وقد كان قرار الفصل سبباً مباشراً في أن يتحرك الأمير عبد الله مرتكزاً على ما يلي:

١- تجريد الخليفة العثماني يوسف عز الدين من كل صلاحياته وحصره اسمياً بالناحية الدينية، والأصل أن الخليفة هو رئيس الدولة وقائدها السياسي والعسكري والديني.

٢- التقارب مع الانجليز والاتصالات ما بين الحسين بن علي حيث بدأ الانجليز بتحضير مسودة اتفاقية جديدة لتنظيم العلاقة بين العرب والانجليز انفسهم.

ويتحدث أمين سعيد : "وبلغ الحسين عمان يوم ١٨ كانون الثاني ١٩٢٣ قادماً من الحجاز في زيارة خاصة لنجله بقصد ترويح النفس فاستقبل بالحفاوة وبعدما استراح قليلاً ذهب الى الشونة مشتى ولده، فجاءت الوفود من سوريا ولبنان وفلسطين وبلاد الأردن للسلام عليه كما جاء بعض المصريين.

وفي "الشونة" هذه وفي ١١ آذار ١٩٢٣ ل ٥ شعبان ١٣٤٢هـ، بويع الحسين بالخلافة

وكان نجله عبدالله اول مبايع له باسم شعب الأردن، (الصحيح ١١ آذار ١٩٢٤) وبايعه الحاج أمين الحسيني، رئيس المجلس الاسلامي الأعلى باسم فلسطين، وقضاة المحاكم الشرعية في فلسطين وانضم اليهم بعض علماء سوريا ولبنان وخطبوا باسمه على المنابر ولم يلق ما جرى اي تأييد في جهات أخرى من العالم الاسلامي خاصة في مصر والهند، فرأى بعض المسلمين انها حركة جديدة يرمي الانجليز من ورائها الى السيطرة على هذا المنصب الاسلامي المقدس.

خطبة الحسين بن علي بعد مبايعة الخلافة

اوضح ملك العرب وخليفة المسلمين في خطبته في جمهور المبايعين الأسباب التي أدت الى المبايعة هذه، وتالياً نص خطبة جلالته :

" أما بعد، فإني أسأله الرأفة والرحمة بعباده والتوفيق وان يجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، ولما كانت الامامة والخلافة العظمى نظام عقد الأمة،وقوام حملَه، وكان أمر صيرورتها وكيفيتها وما جرى منها مدوناً ومنقولاً عمن تلقينا عنهم ديننا القويم، وكان كل ما جرى من بعد عهدهم السعيد في كيفية حقوقها وصلاحياتها وسائر معاملاتها الى يومنا هذا، وموضحاً في تاريخ العالم الاسلامي وسيره المثيره فاقدام حكومة انقرة على الغاء ذلك المقام الكريم، كيما كان شكله جعل اولي الراي والحل والعقد من علماء الدين المبين في الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى وما جاورهما من البلدان والأمصار يفاجئوننا ويلزموننا ببيعهم بالامامة الكبرى والخلافة العظمى، حرصاً على اقامة امر الدين وصيانة الشرع المبين، أبسطه لعدم جواز بقاء المسلمين أكثر من ثلاثة ايام بلا امام كما يفهم صراحة من توصية الفاروق الاكرم رضي الله عنه، ولأهل شورى البيعة بعده كيفما كانت صيغة تلك الامامة وأشكالها الى الآن.

وعليه، ولما كانت المملكة الهاشمية والقطعة المباركة الحجازية مهد الاسلام ومحل ظهوره ومطلع نوره، وكانت مصونة بعنايته تعالى من كل شائبة في حالتيها السابقة والحاضرة ولاسيما العمل فيها بأحكام كتاب الله وسنة رسول الله بجميع خصوصياته وعمومياته وانطباق حكم البيعة المشروعة من المبايع والمبايع له، انطباقاً لا يتصور حصوله في أي مملكة أخرى في الوقت الحاضر وكان حقاً علينا اجابة ذلك الطلب الديني المشروع بعد الاتكال على الله سبحانه وتعالى واستمداد روحانية نبيه صلى الله عليه وسلم، لذلك قبلنا البيعة متوكلين عليه عز وجل ومستمدين منه الغوث والعون والتوفيق لما يحبه ويرضاه".

وأشار جلالته الى السبب الذي من أجله لم يتعرض لمسألة الخلافة في وقت سابق:

"أنه تجنب بحثها حذر توسيع شقه الخلاف ولئلا يتخذه أعداء الاسلام وسيلة التعريض بمكانته" "ولما كانت العائلة العثمانية ممن سبقت لهم خدمات لا تنكر ومفاخر لا تستحقر، للإسلام والمسلمين، ولما كان الحكم الأخير عليهم مما تتفتت له الأكباد وتنفطر منه المهج، رأينا من واجب اخوة الاسلام أن نهيء لها ما يساعدها بما يقوم بأودها ويدفع عنها الغائلة بأمر معاشها، فمن أحب الاشتراك في هذه المثوبة العظمى فعليه أن يشعر رئاسة الوزراء بمكة بما يريده".

مجلس شورى الخلافة

مكث الحسين بن علي في الشونة وعمان بعض الوقت مستمراً في قبول البيعة ،وغادر الى مكة المكرمة حيث دعا هناك الى اجتماع عام لذوي الشأن وتقرر في هذا الاجتماع تشكيل مجلس عرف باسم "مجلس شورى الخلافة" تشكل من "٢٩ عضواً" موزعين كما يلي:

٩ أعضاء من أشراف الحجاز.

٤ أعضاء من أشراف مكة.

٢ من السودان.

١ من المغرب.

١ من المدينة المنورة.

٢ من الطائف.

١ من سوريا.

١ من بلاد الداغستان.

٢ من ديار بخارى.

٣ من الهند.

١ من تركيا.

١ من بلاد الأفغان.

٣ من أندونيسيا.

هذه كانت مسيرة الحسين بن علي الشريف الهاشمي، أمير مكة ملك العرب وخليفة المسلمين حافلة بالعطاء كلها حيث الاصرار على الحق العربي والسيادة العربية والتأكيد على المطالب العربية الكاملة رافضاً كل أشكال الديبلوماسية التي استهدفت المساومة على الحقوق العربية ورفض كل المعاهدات التي لم تؤكد على حق العرب بكامله في كل البقاع ، ومواقفه هذه جميعها وخطواته الجزئية في بيعة الملك ومبايعة الخلافة جعلت بعض

القوى من الداخل والخارج أن تتخذ الاجراءات لمنع استمراره للخطورة العظمى التي كان يشكلها على كل الطامعين في أرض العروبة، من هنا تحرك الطامعون والمأجورون في داخل البلاد العربية وعلى الحدود الحجازية وحدود شرق الأردن للنيل من القيادة الهاشمية وحكم آل هاشم.

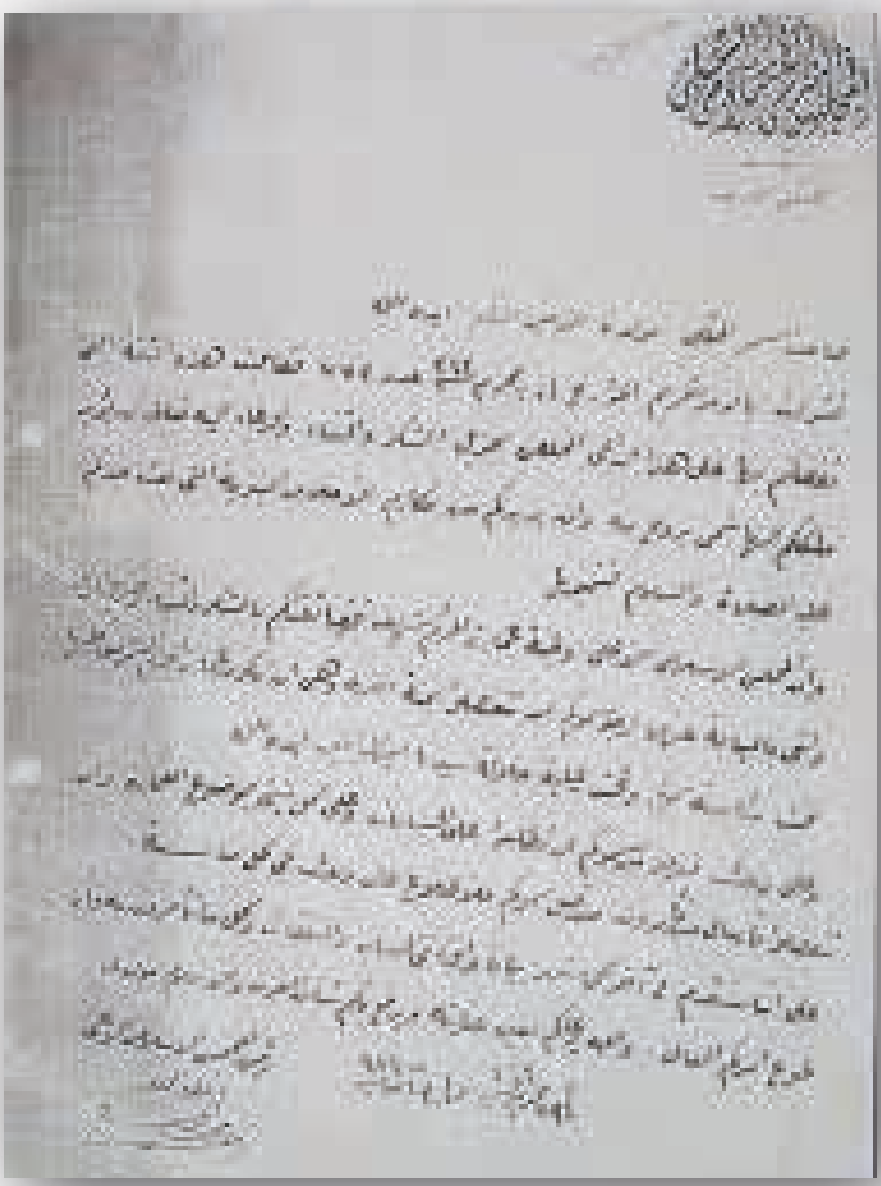

المجلس الإسلامي الأعلى ولجنة عمارة القدس الشريف يطلبان أن يترأس سمو الأمير عبدالله مشروع عمارة القدس الشريف وأن يكون أيضا برعاية جلالة أمير المؤمنين الشريف الحسين بن علي عام ١٩٢٤.

ملخص في سيرة الشريف الحسين بن علي

** واجه النفي الأول عام ١٨٩٥م من مكة إلى استانبول بسبب دعوته إلى الاستقلال المبكر ،فأقام قسريا تحت اسم استضافة في استانبول حتى عام ١٩٠٨م .

** عاش في مكة أميرا لها من عام ١٩٠٨ وسط صراعات قبلية وتناقضات على امتداد الجزيرة العربية ولم تكن فترة هدوء بل خاض أكثر من معركة لتثبيت السيادة والأمن وحفظ الإمارة والاستمرار في خدمة الحجاج والمعتمرين .

** خاض صراعا مع الباب العالي العثماني حين اقتربت تركيا من قرار دخول الحرب إلى جانب ألمانيا ، وأرسل ناصحا بعدم دخول الحرب لنتائجها التي ستؤثر على العرب ، ولكن دون جدوى.

** كان على اتصال من خلال نجله فيصل الأول مع حركات النهضة والأحرار العرب في الشام ، وكان اجتماع الأحرار على أن يتولى الحسين بن علي قيادة النهضة العربية ، وقدموا له ميثاق دمشق عام ١٩١٥ الذي يرسم حدود الدولة ويتناول شؤون المستقبل.

** أعلن ثورة العرب الكبرى في العاشر من حزيران ١٩١٦م وانطلقت الجيوش العربية باتجاه جدة والطائف لتحرير البلاد .

** ولأول مرة في تاريخ العرب منذ ستة قرون خلت يعلن عن تشكيل حكومة عربية ومجلس شورى ويعلن قيام المملكة العربية.

** بعد أن انهي مراسلاته مع الانجليز في آذار ١٩١٦م وقع الانجليز والفرنسيين في أيار ١٩١٦م اتفاقية سايكس بيكو السرية التي تنسف كل الوعود البريطانية للعرب وللشريف الحسين بن علي.

** واجه الشريف الحسين تحديا صعبا حين تم الكشف عن سايكس بيكو والعرب في خضم الحرب في معان عام ١٩١٨م وأحدث الأمر خلافا حادا وتباينا في الرأي مما جعل الجيش العربي أن يترك معان ويتجه إلى الأزرق استعدادا للدخول إلى دمشق قبل أن يدخلها الانجليز.

** الشريف الحسين بن علي أول من اعمر المسجد الأقصى المبارك حين تبرع في عام ١٩٢٤م بقيمة ٣٨ ألف ليرة ذهبية .

** قدم الانجليز عن طريق لورنس مشروع الاتفاقية الحجازية البريطانية والتي في بنودها ما يشير إلى الاعتراف بفصل جزء من ارض فلسطين ليتم التصرف بها كما يشاؤن ، فرفض الشريف الحسين هذه الاتفاقية ومن هنا كانت البداية لإخراجه من الحجاز .

** بدأت المؤامرة الأولى بنفيه إلى العقبة ليقيم في البيت الذي نعرفه باسم بيت الشريف الحسين فيها ، وهناك يلتف حوله أحرار العرب في عام ١٩٢٥م .
** تعرض لمضايقات شديدة من اتجاهات عديدة في العقبة وكانت النتيجة نفيه من جديد إلى قبرص في ٢٥ حزيران ١٩٢٥م، ليغادر العقبة وهو يردد بيت الشعر :
هذه خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها.
** اختيرت قبرص لعزلتها ولسبب آخر أن بريطانيا قد عينت المستر ستورز حاكما لقبرص وهو نفسه قد كان من السياسيين الذين كانوا على تواصل مع الشريف الحسين بن علي إبان الثورة العربية الكبرى وأيضا أصبح حاكما للقدس ومنها ذهب إلى قبرص حاكما.
** في قبرص عاش الشريف الحسين تحت مراقبة شديدة من الانجليز ولم يسترح في منفاه من المضايقات التي تعرض لها .
** رغم كل ظروف المنفى السيئة فقد عاش الحسين بن علي ملكا في منفاه وكان العرب الأحرار على تواصل معه ، وعاش معه في قبرص الأمير زيد بن الحسين وجلالة الملك طلال بن عبدالله في تلك الفترة .
** بعد أن اشتد المرض عليه وأدرك الانجليز انه لن يشكل خطرا عليهم سمحوا له بالإقامة في عمان ، وعاش في قصر رغدان إلى أن توفاه الله في ٣ حزيران ١٩٣١م .
** كان يوم وفاته حزينا واكتظ قصر رغدان بكل العرب ، وتقدم الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في القدس بطلب لأن يدفن الشريف الحسين في القدس في المدينة التي أحب واعمرها ورفض التنازل عن ذرة من ترابها.
** كانت جنازته مهيبة وعظيمة وكثر الوصف لها، وجرى مواراة الجثمان الطاهر في الرواق الغربي من المسجد الأقصى المبارك في دار العفيفي.
** حضر جلالة الملك فيصل الأول من العراق وتقبل التعازي بوفاة والده في بيت الشرق في القدس.
** امتلأت صفحات الجرائد والمجلات بالمقالات والشعر عن الشريف الحسين بن علي ، وأقيمت المآتم في بلدان عدة وحفلات التأبين .
** في حفل التأبين بمرور أربعين يوما على وفاته ألقى أمير الشعراء احمد شوقي قصيدة في رثاء ملك العرب قال فيها :

لك في الأرض والسماء مآتم
قام فيها أبو الملائك هاشم
قعد ألآل للعزاءِ وقامت
باكيات على الحسين الفواطم
ويا أبا العلية البهاليل سل آباءك
الزهر هل من الموت عاصم
المناحات في ممالك أبنائك
بدرية العزاء قوائم
تلك بغداد في الدموع وعمان
وراء السواد والشام واجم
قد بنى الله بيتهم فهو باق
ما بنى الله ما له من هادم

الباب السابع
ثوابت الرؤية الهاشمية في خطاب الثورة والدولة
منذ بدء النهضة

حين نقرأ في تاريخ العرب الحديث فإننا نرى تعدد الاتجاهات ونلمس اختلاف المنهج والرؤية، وهذه تتأثر بمصادر الفكر والتنوع الايدولوجي والبعد او القرب من المصالح التي تكاد في كثير من الاحيان لا تلتقي مع النهج القومي العربي وتخدم الفكر والمبادئ والمصالح العربية.

وحين نبحث عن عامل الثبات وعامل التغير في سيرة الدولة العربية وفي منظومة البناء الفكري العربي فاننا نلمس سيطرة عامل التغير وتذبذب اتجاهات لابتعاده عن الاصل الذي اختطه العرب منذ مطلع القرن العشرين.

ولكن حين نبحث في سيرة النهضة العربية ومبادئ الثورة العربية الكبرى منذ البدء وحتى يومنا هذا فأننا نرى وبوضوح أن الخطاب ثابت وأن النهج واضح وأن المرجعية واحدة منشؤها يمتد في اصول الفكر العربي ويتعمق في التاريخ والتراث الاصيل..

وقد تحدثت الايام عن سيرة المجد هذه منذ أن ابتدأت الثورة العربية الكبرى التي دوت رصاصتها تعلن الخروج من حالة التردد والشك واليأس والاستلاب الى عهد النور والاستقلال وسيادة النفس واتقاد الروح فكتبت جريدة القبلة في عددها رقم ٢٣ الصادر بتاريخ ٦ محرم سنة ١٣٣٥هـ الموافق الاول من تشرين الثاني عام ١٩١٦

تقول تحت عنوان (الملك العربي السعيد):

فكم من امة كانت في يأس من الوجود، وقنوط من الحياة، ثم احست ففكرت فدبرت، فاذا بظلها وارف واعلامها خافقة واندیتها معمورة، فما بالك بالشعوب العريقة في مجدها، القديمة في عهدها ومن خلفها صرخات التاريخ واصوات العصور وصيحات الاجيال تنادي بها: انهضي الى العز، وانفضي غبار الذُل، فان النظرة العجلى الى الاباء، واللفتة الواحدة الى الوراء لتُذكر الغافل وتهز الخامل فاين انت من بلوغ المرام وانه لعلى طرف الثُمام ."

لا يمكننا الا ان نقرأ في الخطاب الهاشمي لنرى الثبات فيه مطلق، وأن تعامله مع قضايا الامة واحد وان نقرأ المبادئ فيه سامية واحدة، وحين نقرأ في الخطاب الهاشمي نجده يتطور ويواكب الاحداث وروح العصر ولكنه ما حاد ابدا عن قضايا من اهمها:-

اولاً: إن الامة العربية عريقة بتراثها ومجدها وان هذا التراث هو مصدر العروبة وفيه

قيمة القومية.

ثانياً: ان لا تتنازل او مهادنة او مساومة في حق عربي في أي بقعة عربية.

ثالثاً: ان الثورة العربية الكبرى قد ابتدأت عربية ذات رسالة خالدة من اجل امة ماجدة.

رابعاً: ان العربي سيد نفسه وان قيمته هي الاسمى وهو صاحب السيادة والارادة.

خامساً: الحق في الحُكم والقيادة وتكوين المؤسسات وبناء نظام الدولة على اساس اللغة العربية الواحدة ودين الاسلام الحنيف واستنادا الى الارث التاريخي التليد للعرب.

في مقدمة اول خطاب هاشمي يوم التتويج الأول ومبايعة العرب لأول ملك عربي بعد تاريخ كان التغييب للعرب عن سدة الحكم والقيادة وفعل الارادة .و في هذا اليوم الذي صادف الثاني من محرم عام ١٣٣٥ هجرية الموافقالسابع والعشرين من تشرين الاول ١٩١٦ وقف الشريف الحسين ملك العرب الأول بين جموع المبايعين يتقبل التهنئة ووقف الشيخ فؤاد الخطيب يتلو اول بيان من المبايعة يقول فيه:

اما بعد فان للعرب المنزلة الرفيعة بين الأمم لانهم في مقدمة الاقوام الساميين الذين نشروا في الارض حقيقة التوحيد وهداية الدين فدانت الدنيا كلها في كل ازمانها الى ما اراد الله ان يُتمه على السنة انبيائهم العظام من الشرائع الالهية والسنن القويمة والمحامد الاخلاقية والفضائل والكمالات حتى استنارت الامم بنورهم واهتدت بهديهم ".

ويتحدث هذا الخطاب عن منهج المُلك الجديد من خلال صفات الحكم وخصائص ارث الأمة فيقول الخطيب في بيان اعلان البيعة:-

فانتم قريش، بل انتم الصفوة من بني هاشم واننا ندين لله تعالى يوم الوقفة الكبرى بين يديه باننا لا نعلم اليوم اميراً مسلماً اتقى لله منكم واشد خوفا منه وتمسكا باوامره واقامة لشعائره قولا وعملا واقدر على النظر في امورنا بما يرضى الله عز وجل ونحن الذين عرفناكم في ايام الرخاء وايام الشدة وفي حالتي السر والعلن، وان حولكم امة برهنت في ادوار كثيرة من ادوار التاريخ على انها عظيمة المدارك عالية الهمة... كثيرة الاقدام حازمة عادلة صبورة رحيمة منصفة ولو ان صفحات التاريخ فُقدت من الوجود لكفى الدلالة على عقلها لغتها التي صيرت اسرارها العقود، وآدابها التي هي خزانة المعارف واشعارها التي نظمت لأُلى الحنكة في البوادي القاحلة ايام جاهليتها الأولى فضلاً عما اقامته من معالم الحضارة في كل بقاع الدنيا القديمة مما لا تزال اثره ماثلا للانظار.

هذه هي بداية الدولة العربية التي تتأسس لأول مرة وقد اخذت التراث العربي مصدراً ودين الاسلام الحنيف هاديا والارادة في الاستقلال والدولة ثابتاً، فسار العرب في ثورتهم

نحو فجر الدولة والحكم المستقل وكانت الثقة والاطمئنان التي بتعثها القيادة الهاشمية في النفوس هي الدافع للجميع للعمل من اجل العرب ومن اجل تحقيق الاهداف التي تعاهدوا على تحقيقها .. وخلال فترة ما زادت عن السنتين تحقق للعرب ولأول مرة وبفضل الثورة العربية الكبرى ما يلي:

اولاً: انتقال العرب الى ساحة القتال واستخدام فنون الحرب ودخول مرحلة تنظيم القوات العسكرية وتأسيس الجيش وتكوين المؤسسة العسكرية لأول مرة بعد أن كان غيرهم يقوم بهذه المهمة وعلى طريقته وفق اهدافه..

ثانياً: دخول العرب الى ميدان المفاوضات السياسة بدءاً من المراسلات الشهيرة بين الشريف الحسين والسر مكماهون ومن ثم مفاوضات رونالد ستورز مع الشريف الحسين، واتصالات القيادة العربية الممثلة بالقائد عبدالله وعلي وفيصل وزيد مع القيادة العسكرية الفرنسية والبريطانية في جدة والقاهرة والاتفاق على تنفيذ خطط واضحة فيها الضمان لحقوق الجميع.

ثالثاً: ظهرت مسألة الدولة العربية وضرورة الاستقلال وتكوين المؤسسات الخدماتية والنهوض بالعرب لتطوير الذات والمنشآت والاهتمام بالتعليم وكانت من بواكير اعمال الدولة العربية في الحجاز انشاء مدارس التعليم.

رابعاً: لأول مرة يعرف العرب النقود العربية المسكوكات منها والورقية بعد اكثر من اربعة قرون، ويرون علماً عربيا خافقا في السماء يتحدث عن تاريخ الامة ومجدها التليد ويعرفون نظام البريد ويصنعون باصابعهم طوابع بريدية عربية على مغلفات مراسلاتهم.

خامساً: تحركت دوافع الاستقلال في النفوس العربية وتحطم حاجز نفسي مريع كان يُخيم على العرب حينا وتبدد اليأس واستذكر الجميع تاريخهم وخرجوا من عقالهم وكأنهم ولدوا من جديد وتحركوا يُسخرون جهودهم يجوبون المغازي والامصار لتحقيق اهدافهم بايديهم وبكفاحهم الموصول.

سادسا: دخل العرب الحرب الحديثة لأول مرة وفي فترة قياسية اثبتوا مقدرة على استخدام منظومات السلاح الحديث في عصرهم، وكانت البداية بانشاء أول مدرسة عسكرية في اول قلعة يحتلها العرب في مكة في ثكنة جَرْولِ، ومن ثم انشأ الامير فيصل بن الحسين كلية حربية ميدانية لتخريج افواج المقاتلين والضباط فعرف العرب بذلك فنون القتال والمؤسسات العسكرية ،وما اجمل أن نستمع للشاعر الشيخ ابراهيم اليازجي عام ١٩١٣بنشيد ويقول:

سلامٌ ايها العربُ الكرامُ وجادَ ربوعَ قُطركم الغمامُ
وما العُربُ الكرامَ لها في اجفنِ العلياء مَقام
لعمرِكَ نحن مصدر كل فضل وعن آثارنا اخذ الأنامُ
ونحن أولو المآثر من قديمٍ وان جحدت مآثرنا اللئامُ

وتستمر القيادة الهاشمية في التزاماتها تجاه العروبة وكرامتها واستقلالها، فيكون تأسيس الدولة العربية الأولى في دمشق ١٩١٨م وتسعى القيادة ومعها العرب جميعا نحو استكمال بناء مؤسسات الدولة والسعي نحو الاستقلال حتى تحقق وأعلنت الدولة العربية المستقلة في الثامن من اذار ١٩٢٠م، لتكون التتويج العملي لجهاد عربي موصول. ونقف عند الخطاب الهاشمي الذي يوضح سياسة الدولة العربية انطلاقا من فكر النهضة، هذا الخطاب الذي تلاه جلالة الملك فيصل الأول في الثالث من اذار ١٩٢٠ في المؤتمر السوري العام ويقول فيه:

ايها السادة: لما كانت هذه الحرب حرب حرية واستقلال حربا جاهدت فيها الأمة ذباً عن كيانها السياسي دخل فيها صاحب الجلالة والدي المعظم في صفوف الحلفاء بعد أن استوثق من العرب في الجزيرة وفي سوريا وفي العراق فقاتلوا قتالاً شهد لهم فيه اعاظم رجال اوروبا السياسيين والعسكريين واثنوا على شجاعتهم وبسالتهم غاية الثناء .. ولا بد ان يحفظ التاريخ اعمالهم الجليلة في ابن الحرب التي استمات فيها الحجازي والسوري والعراقي، واني لواثق بان الامة ستنال من المغنم، ما ناله غيرها من حلفائها الذين نالوا الظفر على الاعداء ويضيف جلالة الملك فيصل في خطابه:

ان هذا الظفر لم يكن عسكريا فقط بل هو سياسي قبل كل شيء لإنه انتصار الحق على القوة والحرية على الاستبداد، فقد انتشرت اليوم فكرة الاستقلال بين الشعوب وانتقشت على افئدتها فلن تزول بعد الآن، ويقول جلالته ايضا:استحق العرب حريتهم واستقلالهم بفضل الدم الطاهر الذي سفكوه وبفضل ما قاسوه من انواع العذاب والقهر ...

هذه الكلمات تلخص منهج بناء الدولة وتأسيس الممالك العربية، ونلاحظ الربط التاريخي والعمق في التفكير والتحليل والاهتمام الخاص بعروبة الثورة وضرورة اهدافها .

كانت الدولة العربية الأولى في بلاد الشام نموذجاً للدولة والمؤسسة ونظام الحكم ،ولكن حين تتضافر قوى الاطماع مع تكالب المصالح فان الغلبة تكون لمنطق القوة، وقد جرى للدولة في بلاد الشام من الحادثات مما لا يستوعبه العقل العربي وتجدد مأساة الدولة ويخرج علم الثورة من هناك لكن ليرتفع بيد عربية اخرى تجدد مسيرة الثورة وتمشي على

خطاها، فيتقدم الامير عبدالله بن الحسين يعلن استمرار رفع الراية وان الحياة مع النهضة هي رسالة تؤكد عليها الثورة العربية الكبرى. تتقدم قوات الثورة العربية تتبع خطى جيش فيصل بن الحسين قبل سنوات قليلة فتدخل الى معان في ٢١ من شهر تشرين الثاني ١٩٢٠ويقف الامير عبدالله بن الحسين يخطب في الجموع يرسم سياسة المستقبل ويقول:
لا اجد في نفسي ادنى ريب او اقل شبهة في ان ابناء الوطن سيتلقون بياناتنا بقلوب ملؤها التصديق والاخلاص. ويقول الامير عبدالله انه في الوقت نفسه نعلم علماً يقينا ان ابناء سوريا الكرام هم من جملة المفاخر العدنانية والقحطانية لا يرضون بالذل ولا ينقادون الى من جاء لاهانتهم في عقر دارهم، وانهم لا يعذرون ابناء جنسهم اذا منعوا عنهم يد المعاونة والمدد في مثل هذه الآونة الخطيرة، ويختتم الامير عبدالله بن الحسين طيب الله ثراه بيانه الأول بقوله:
لذا ندعوكم للحياة والاجتماع والذب عن الوطن وعدم الاصغاء لكل دسيسة تفل من عزمكم او تُبدد حميتكم واستعين الله لي ولكم في ما نحن بصدده.
وحين تتطور الظروف السياسية وتبرز المؤامرات التي تستند الى قوة الخصم ، يظهر دور الحكمة تقتضي التعامل مع واقع اذا ما كان للدبلوماسية الذكية دورها ولادارة الحوار والمفاوضات شأنها فان خسائر القضية ستكون وخيمة . من هنا كانت ادارة القيادة الهاشمية لازمة لأصعب الازمات التي تمس صلب القومية العربية وكيان الدولة ومشروع النهضة الذي واجه قوة استندت الى مصادر عديدة لا يمتلكها العرب ، وسار العدو في طريق تحقيق مشاريع على حساب الارض العربية والشعب العربي فكان الموقف الحازم من عبدالله بن الحسين طيب الله ثراه بأن قاد الامة الاسلامية عبر مفاوضات صعبة لحفظ جسم الامة العربية وصيانة الاستقلال وتأمين مكاسب النهضة والوفاء لشرف المجاهدين والشهداء الذين ضحوا في سبيل الاهداف السامية ومنع فقد الارض العربية . قاد سمو الامير عبدالله البلاد الى مستقبل جديد واستغرقت مفاوضاته السنتين بين لندن والقدس وعمان واصدر سموه بياناً في اوائل كانون الثاني ١٩٢٣ قال فيه:
ولكن لخدمة الوطن وجوها ولكل وجه سبب، وافضل تلك الوجوه الآن وفي كل آن، اسلمها عاقبة واقلها ضرراً، ومع انني عالم بثقل لوازم الوطن ومقتضياته ومتاعب الوصول الى غاياته، واقول أن كل هذه الصعاب ستذلل ان شاء الله بالحكمة القومية والتعامل العربي اللذين ورثتموها عن ابائكم مع الاتكال على الله تعالى في كل الاحوال.
ويشير صاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن الحسين الى مفاوضاته في اوروبا:-

اقول لكم اني رجعت وكلي رجاء في الوصول بمشئية الله الى النتيجة الحسنة في ما دامت اليه النهضة العربية المستندة الى الامال القومية ، ويقول سموه عبارة طالما رددها باستمرار تمثل نهج آل البيت الكرام حين يقول:-

انه لو كانت لي سبعون نفساً وضحيتها كلها في سبيل القومية والوطن لما رأيتني قمت بالواجب .

ويخلص بيان سمو الامير عبدالله الى القول :-

واود أن اعلن بلسان الصراحة تأكيد عزمي السابق من جعل هذه البلاد بلاد دعة وأمان، ترتاح لحسن ادارتها اقطار محبيها، خالية من وجود شكاوي قاطنيها ومجاوريها. واتعشم انني احسست بهذه الصورة مما يرونه محبو الوطن وطالبوا الخير له ."

كانت هذه البداية لارساء اول استقلال عربي متكامل في الشرق العربي . فكان في اعلان الاستقلال في ١٥ ايار ،١٩٢٣ فتحدث سمو الامير عبدالله يستعرض تاريخ الامة وجهادها الموصول من زمن البعثة المحمدية الى يوم اعلان الثورة العربية الكبرى هذه التي تشكل فترة الجهاد الدؤوب للقيادة الهاشمية التي ما حدادت ابدا عن طريق بناء الدولة وانشاء الميان الصحيح المستند الى العروبة وارث الامة .

ويقول سموه في حفل الاستقلال الاول:-

فوقعت النهضة العربية المباركة على يد من اختاره الله سبحانه وتعالى قواما لها وقائداً لامورها ، فنادى الى الحق فايقظ الهاجد في عماه، ونبه الغافل في كراه، وخاض في الحرب العامة في اشد اوقاتها خطرا، متكلا على الله ثم عل موقفه والنصر من عند الله، فكلل جميع اعماله بالنجاح لائتمار العرب اثناء الحرب بأمر واحد واتباعهم مركزا واحدا.

وزف الامير عبدالله بُشرى الاستقلال للامة في عام ١٩٢٣ ويقول "اني لآمل ان يكون هذا اليوم يوماً سعيداً للامة تتخذه عيدا تُظهر فيه سرورها وحبورها، ومنه تعالى نستمد العون ونسأله ان يطيل بقاء وتوفيق جلالة امير المؤمنين مولانا الحسين بن علي محمد بن عون، والله ولي التوفيق..."

سارت الدولة الاردنية، بدءاً من عام ١٩٢٣ كثمرة مباركة لنهضة العرب الكبرى واستندت

على ثوابت عربية ترتكز في الاستقلال التام والخدمة التامة والوفاء للعروبة والانتصار للحقوق، وتقديم اقصى ما يمكن تقديمه من عون ومساعدة . فسارت الامور وفق هذا النهج خلال السنين من عام ١٩٢٣ – ١٩٤٦، هذه التي تشكل مرحلة الاستقلال الاول.

فكانت النخوة الاردنية الاصيلة لأهل سوريا في ثوراتهم وجهادهم من اجل الاستقلال . وكانت الارض الاردنية موئل الاحرار والعرب الاخيار وكابدنا معهم مثل ما كابدوا وتعرضنا للقصف والهجوم مثل ما تعرضوا واثبت الاردن قيادة وشعباً انه السند والعون للعرب.

وخلال احداث فلسطين عام ١٩٣٦ وما حولها كان الاردنيون ثواراً يجوبون الارض الفلسطينية وكانت وحدات الجيش العربي مركز تدريب للمناضلين وخلال الحرب العالمية الثانية قاتل الاردنيون في سوريا والعراق للحفاظ على الهوية والمصالح الاصيلة، وكل هذه كانت تنطلق من الهاشمية الاردنية ومن الاردنية الهاشمية ،ومن عروبة الاردن الذي يأبى الا ان يكون عربيا في توجهه وخطواته ونضاله، فاستحق الاردن ان يكون بلد الاستقلال التام والكيان الموصول بالخير العميم والحب للعرب جميعا، فكانت جولة الاستقلال الثاني التي ابتدأت في مطلع عام ١٩٤٦ وليتحقق هذا الاستقلال في الخامس والعشرين من ايار عام ١٩٤٦ ولتصبح البلاد تحمل اسم المملكة الاردنية الهاشمية ولتكون المناداة باسم جلالة الملك عبدالله بن الحسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية.

ويؤكد جلالة الملك عبدالله توابت السياسة الاردنية ويؤكد على رسالة البلد النهضوية ويتحدث للامة في خطاب العرش السامي في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٦ ويقول فيه:_" تلك ايها السادة هي امتكم العربية التي رفعت الويتها في مشارق الارض ومغاربها ،ونشرت رسالتها في المعمور، لا نريد بهذا تفاخراً او تباهياً بالماضي المجيد ،ولكنها الحقيقة الناصعة تجعلها رمزاً ونتخذها مثلا وخير سبيل واجب الاتباع . ويقول جلالته في معرض خطابه السامي، قد ظلت بلادنا مركز معونة فعلية وتأييد دائم لكل حركة قومية ودعوة وطنية فعلية وتأييد دائم لكل حركة قومية ودعوة وطنية واليوم ونحن نقف هنا بعد استقلال قد اعلن واستقرار قد حصل، وعهد قد احدث، نقول اننا قد قمنا بما وجب علينا لنيل استقلال ناجز وسلامة للمستقبل.

يستمر نهج الدولة الثابت في سيره نحو العُلى وخدمة الأمة ويخوض الاردن مرحلة جديدة حاسمة هي الفترة من عام ١٩٤٧ وحتى عام ١٩٥١ ميلادية، هذه التي شهدت احداثا جسام، فكانت حرب عام ١٩٤٨م وبرز الدور القومي الاردني المؤسس على الوفاء والصدق

والاخلاص للعرب جميعا، وضحى الاردن بالغالي والنفيس وفاق كل اشكال التضحيات الأخرى، وخاض الاردن مرحلة حاسمة ما بعد عام ١٩٤٨م حين تكالبت الاطماع من جديد تستهدف الارض العربية، فصمد الاردن وتمكن من تحقيق وحدة الارض والشعب والحفاظ على ما يمكن ، وبكل جهد ممكن ويقود جلالة الملك عبدالله الاول ابن الحسين الامة نحو الرشاد والخير حتى يكون ذاك اليوم الذي خضبت دماؤه عتبات جامع المسجد الاقصى المبارك ويلقى وجه ربه راضيا يترك تاريخا حافلا منذ الجيش الشرقي الذي احتل الطائف وخاض غمار الحروب حتى مسيرة التأسيس والانتصار للحق العربي، وخوض حرب عام ١٩٤٨م والى يوم الجمعة العشرين من تموز ١٩٥١ م يوم فاضت روحه الطاهرة على بعد خطوات من مثوى والده قائد الثورة وراعي النهضة الشريف الحسين بن علي.

تناول خطاب العرش عام ١٩٥١م الحدث الجلل ولكن مع التأكيد على ثبات الموقف والاخلاق للأمة، وفي الرد على خطاب العرش نفسه يأتي فيه : يا صاحب الجلالة: اننا اذ نعود الى تاريخ الامة العربية المجيد، نجد انها فقدت القائد بعد القائد فما زعزع ذلك من أيمان العرب او فت في عضدهم بل كان من عوامل استبسالهم واندفاعهم في تحقيق اهدافهم الانسانية واداء رسالتهم الخالدة وما قتل قائد الا وتسلم الراية قائد.

ويقود البلاد نجل هاشمي يحمل رسالة الاجداد ويعمل من اجل مبادئ النهضة فيعتلي العرش جلالة الملك طلال بن عبدالله يكمل مسيرة البناء ويؤسس الدستور الحديث ويبذل كل مستطاع لكن ظروف حالته الصحية حالت دون ان يستمر فينتقل العرش الى القائد باني الاردن الحديث الحسين بن طلال الذي قاد الامة عبر سنوات حكمه من عام ١٩٥٣ وحتى عام ١٩٩٩ لحكمة واقتدار فكان نصف قرن منالعطاء الموصلو والثبات على نهج الأُلى والوفاء والاخلاص للأمة، وجلالة الحسين طيب الله ثراه يقول في اول خطاب له بعيد الثورة العربية الكبرى في التاسع من شعبان ١٣٧٣هجرية الموافق للثاني عشر من نيسان ١٩٥٤: ويقول جلالته:-

ولا تزال جميع الحركات القومية في البلاد العربية هي الصدى المبارك لدعوة (الشريف الحسين) الحقة والثمرة الطبيعية للخطة التي رسمها للأمة.

ويقول جلالته في خطابه معربا عن ثوابت فكر النهضة في الرسالة الاردنية فيقول طيب الله ثراه : اننا نؤمن بعظمة هذه الأمة، ونؤمن بانها ما تزال تملك الطاقة المعجزة لتستأنف السير في الطريق الصاعد من العزّ والمجد، واذا ظلت مبادئ الثورة العربية منهاجنا فإننا سنقضي على اسباب ضعفنا وعلى كل خصومتنا."

ويحدد جلالة الحسين طيب الله ثراه خصائص السياسة الاردنية ، وثباتها من خلال خطاب ملكي سامي في مطلع شهر تشرين الاول من عام ١٩٦١م، حين يقول جلالته يرحمه الله: "اود أن اشير الى الثبات الصادق والاستمرارية الصحية التي اتصف بها سياستنا في هذا البلد قد نجم عن حقيقتين اثنتين بقيتا تمدان تلك السياسة بكل ما تحتاجه من قوة وانطلاق: فنحن اولاً حملة رسالة كانت الثورة العربية الكبرى قد حددت معالمها واهدتها لامتنا نقية طاهرة بيضاء منذ عشرات السنين يوم رسمت بدماء الشهداء وخطت بنداء الاحرار نداء الحرية والوحدة والحياة الافضل.

ونحن ثانيا اسرة أيمان وتصميم ، ولقد بلغ من ايماننا برسالتنا اذ استطعنا ونحن القلة في العدد والرقعة ان نثبت في وجه الاعاصير والانواء ونبقىn على الاحداث والشرور ونحتفظ رأسنا دائما وسط كل المتاعب والصعاب عاليا مرفوعا في المساء.

ويثبت الاردن، وتهب عليه تيارات تريد ان تجرفه نحو مهاوي العقائد والاطماع، ويبقى الاردن بلد الرسالة والقيادة يثبت ان الاسرة الهاشمية قد جعلت همها عبر العصور خدمة الأمة العربية والسير بها نحو تحقيق الأماني العربية واحلال الامة العربية مكانها المرموق بين الأمم.

يرحل فارس الامة وهو يخدم الوطن والعالم حتى آخر لحظة من حياته، لتنتقل الراية الى سواعد فارس هاشمي نستذكر في عهده صورة عبدالله الملك المؤسس وهو يقود الأمة ويرمي بناء الدولة وصورة الحسين باني النهضة الذي يقول لقد استحال كيان الشعب فينا الى كيان اسرة ، واخذت المحبة وراح الوفاء يستقطبان كل فرد منا حول اخيه حتى لأصبح الاردن بأسره يطل بتلك القوة التي فيه وبكل العزم الذي يتصف فيه من خلال وجه كل مواطن.

يقود الامة جلالة الملك عبدالله الثاني بن الحسين يحمل رسالة الثورة والنهضة ونستذكر مع جلالته كلمات الوالد الراحل يوم زفّ بشرى مولده للأمة حين قال جلالته :-

"ولسوف يكبر عبدالله ويترعرع في صفوفكم وبين اخوته واخوانه من ابنائكم وبناتكم ، وحين يشتد به العود ويقوى له الساعد سيذكر ذلك اللقاء الخالد الذي لقي به كل واحد منكم بُشرى مولده وسيذكر تلك البهجة التي شاءت محبتم ووفائكم الا ان تفجر انهارها في كل قلب من قلوبكم، وعندها سيعرف عبدالله كيف يكون كأبيه الخادم المخلص لهذه الاسرة والجندي الامين في جيش العروبة والاسلام."

ويكون جلالة الملك عبدالله الثاني خير حفيد لقائد الثورة العربية الكبرى وخير حفيد

لمؤسس الدولة الاردنية وخير إبن لباني النهضة، يحمل عبدالله الثاني ابن الحسين الراية لتبقى مرفوعة في الاجواء يحملها وينقل معها صورة الاردن المشرفة الوضاءة التي تتحدث عن شعب يحب العالم ويحترم الانسانية وعن قيادة تنهل من ارث الاجداد الاصالة والسؤدد فيكون الاردن بلد الخير والحق الواضح والمستقبل المشرق.

وإذا كان للتاريخ أن يحكم ، فليقرأ في منجزات الثورة العربية الكبرى ومنها :

• قيام ممالك عربية مستقلة في الحجاز وسوريا والعراق وتأسيس امارة شرق الاردن ، التي حملت رسالة الثورة العربية الكبرى وأصبحت الوريث الشرعي لمبادئ الثورة وأهدافها.

• ابراز القضية الى حيز الوجود على ميدان السياسة العالمي وانتزاع اعتراف الدول الكبرى بها. لقد عالج العرب قبل الثورة العربية الكبرى قضايا الوطن العربي وكتبوا الكثير في شأن مصيره وفي علاقة العرب بالاتراك في السلطنة العثمانية، ولكن ذلك كله خارج ميدان السياسة العربية، خاضعة للامبراطورية العثمانية كقسم لا يتجزأ من ممتلكاتها، او مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة خاصة، او محكومة كمستعمرة، او كشبه مستعمرة تدعى تأدبا محمية او تنوء تحت حكم اجنبي مباشر وتحسب قسماً من رقعة الدولة الحاكمة. وجاء اعلان الثورة يكرس شرعية المطالب العربية وحقها في تقرير المصير واقامة دولة عربية تشمل اكثر المناطق التي كانت تخضع للدولة العلية.

- اذ جاء تكريس شرعية المطالب العربية بعثاً عمليا للفكرة العربية وبعد ان كانت حديثا في المجالس والاندية السرية. واخذت الفكرة العربية تتبلور حتى اصبحت عقيدة حية متطورة تتفاعل مع الاحداث وتكتسب الخبرة والقوة.

- اعادة وحدة العرب الروحية وخلق تاريخ قومي لم يكن له وجود او شبه وجود منذ سقوط الخلافة العباسية في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد عندما تداعت تلك الوحدة وتفتت الى وحدات قطرية هيمنت على اكثرها عناصر غير عربية.

- ولما كانت نتائج الثورات غير المباشرة اعظم شأناً من نتائجها المباشرة، ، فيمكن القول انها في تاريخ العرب القومي الحديث الثورة العربية الكبرى دون جدال.

• اما اعظم منجزات الثورة شأناً وابعدها اثراً فكان قيامها على يد امير عربي من سلالة الرسول آمن بعروبته كما آمن باسلامه واراد ان يستعيد للعرب حقاً مغتصباً في تقرير المصير وفي المساهمة في بعث التراث العربي والسيادة العربية في البلاد العربية. لقد كان الشريف حسين عظيما وهو يتحمل قدر امته ، وعظيما وهو يضحي بسلطانه وروحه من

أجل امته وعقيدته ، فقد نفي الى قبرص وبقي فيها الى ان اشتد عليه المرض فرجع الى عمان التي شهدت انتقال منقذ العرب الى الرفيق الأعلى سنة ١٩٣١ حيث خرجت جنازته من قصر رغدان العامر ، ودفن بجوار المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى جده المصطفى صلى الله عليه وسلم .

"كل واحد منا يعرف ويعتز بأن هذا الوطن نشأ وتأسس على رسالة الثورة العربية التي قادها الشريف الحسين بن علي لتحرير الأمة وتوحيدها، ولذلك سيظل الأردن بعون الله، الأردن العربي المسلم، المنتمي لأمته العربية والإسلامية، والحريص على النهوض بواجبه القومي والديني تجاه كل القضايا العربية والإسلامية ولن نقبل تحت أي ظرف من الظروف أن تكون علاقتنا بأي بلد أو جهة، على حساب علاقتنا بأمتنا العربية أو الإسلامية، وانتساب هذا الوطن إلى الثورة العربية، وانتساب قيادته إلى الدوحة النبوية الشريفة يفرض علينا أن نكون أول من يتصدى للدفاع عن الإسلام والعرب والمسلمين".

من خطاب جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين

بمناسبة عيد الاستقلال الستين ٢٥ ايار ٢٠٠٦.